تحدّي الصِّعاب

تأليف

أد. عقيل حسين عقيل

القاهرة

2018م

(تحدّى الصِّعاب حتى تهزمها فهي لا تصمد أمام المتحدّين)

د. عقيل حسين عقيل

المحتويات

المقدِّمة.. 4

تحدّي الصِّعاب 6

تحدّي الصِّعاب تحدّي المخاطر:.......................................16

درء المخاطر تحدّي صعاب:...18

تحدّي الصِّعاب يجعل الخوف شجاعة:.................................21

تحدّي الصِّعاب استنهاض خوفا:.......................................26

تحدّي الصِّعاب رغبة وتطلُّع: 38

تحدّي الصِّعاب يحدث النُّقلة: 46

تحدّي الصّعاب يمكِّن من معرفة المجهول:..............................52

تحدّي الصِّعاب يمكّن من بلوغ الخوارق: 56

تحدّي الصّعاب يُمكّن من بلوغ الغايات:.................................62

تحدّي الصّعاب يمكّن من نيل المأمول:..................................69

نيل المأمول:..74

التأهّب تحدّي صِعاب:...80

تحدّي الصِّعاب يرسّخ المكانة:...85

تحدّي الصِّعاب القيد يكسر:...91

تحدّي الصِّعاب تجاوز الدُّونية:.......................................104

المقدِّمة

تحدّي الصّعاب مبدأ لا يقدر عليه إلّا متطلِّعٌ لمأمولٍ يشبع حاجة دون أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الغير، ومع أنَّ تحدّي الصّعاب مبدأ محبَّبٌ ومفضّلٌ لكنّه قد يكون من أجل الأنا أنانية، وقد يكون من أجلها مكانة ورفعة؛ ولهذا وراء كلّ تحدٍّ رغبة ومأمولا فيه ما يفيد وإن اختلفت المشبعات والمرامي والمقاصد.

فتحدّي الصّعاب أساس النجاح، والفوز بالمأمولات ونيل المكانة الرّفيعة؛ ولهذا دائما الواعون هم السّبّاقون؛ لأنّهم واعون، ولا إمكانية لمواجهة الصّعاب وتحديها إلّا وعيًا؛ ولهذا جاء مؤلَّفنا (تحدّي الصِّعاب) لعلّه يترك أثرا، أو يلفت انتباها لما يجب أن يتخذه الإنسان تجاه نفسه أوّلا، ثم تجاه من تربطه بهم علاقات اجتماعية، أو وطنية، أو إنسانية.

مؤلَّفنا (تحدِّي الصِّعاب) يؤكّد على أخذ المعلومات من مصادرها أو مراجعها دون أن تكون مسلّمة إلّا بعد تحليلها واستخلاص ما تؤدّي إليه من نتائج موضوعية، ثمّ تفسير نتائجها وفقا لما هو كائن، وما يشير إلى ما هو آتٍ.

إنَّ تحدّي الصّعاب لا يكون إلّا من أناسٍ متطلّعين لما هو أفيد وأنفع وأرفع دون أن يتنازلوا عن قيم مجتمعهم الحميدة وفضائله الخيّرة، وهم بقيمهم وفضائلهم يتحدّون دون أن يكون تحدّيهم في مواجهة ما هو أكثر نفعا وأكثر جودة وممن يكون.

تحدّي الصِّعاب مبدأ يترسّخ بالمنافسة تجاه التقدّم والارتقاء إلى ما يُمكِنَ بلوغه وما يُمكِنَ نيله، أو الفوز به دون أن يكون على حِساب الآخرين، ولأنَّه تحدّي صِعاب فهو لا يكون إلّا باستنهاض الخوف، أي: لو لم يكن الخوف يملأ أنفسنا؛ ما سعينا إلى التحدّي الممكِّن من تفادي ما يخيف.

ولهذا، فالخوف الذي يكمن في النفس، والمخاطر التي لا تكون إلّا خارجها هما المؤثران سلبيا على أنفسنا ممّا يدعو إلى مواجهة المخاطر وتحديها خوفا ممّا تتركه من أثرٍ مؤلمٍ.

تحدّي الصِّعاب مبدأ يجب الأخذ به إن أردنا كشف المجهول والتعرّف عليه، ومن ثمّ الأخذ به إضافة، أو تفاديه بما يجعل الطمأنينة مستقر نفوسنا ومنبع رؤانا؛ ذلك لأنَّ الخوف منبع توليد الشجاعة، فلو لم يكن الخوف ما كانت الشجاعة داعية لتحدّي الصّعاب.

تحدّي الصّعاب لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه فوائد ومكاسب وجودة ونيل مكانة رفيعة، ولا حدود توقف التحدّي إلى النهاية (نهاية المأمول أو نهاية الآمل)، ولهذا فالتحدّي في دائرة المتوقّع يُمكّن من بلوغ الغايات ونيل المأمولات، أمّا غير المتوقّع فيمكّن من بلوغ الخوارق.

وعليه: فتحدِّي الصِّعاب يستوجب تهيؤا يسبقه، وعدّة يمكن استخدامها أو توظيفها، ثمّ استعدادا يؤهّل للتحدّي، ومن بعده تأهُّبا يمكّن من المواجهة، وخوض المعركة انتصارا.

أد. عقيل حسين عقيل

القاهرة

2018م

تحدّي الصِّعاب

الصِّعاب تستوجب مزيدا من الجهد لتحديها دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرا ومزيدا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، ولا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصِّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصِّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصِّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدِّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصِّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ومن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ولذا؛ فالتهيّؤ لتحدي الصِّعاب يُمكّن من أداء العمل ارتقاء؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تحدّيًا تُرسم أيضًا لمقاومة المعيقين له؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون لارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم

يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعد لتحدي الصِّعاب وأقدم عليها فليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا؛ فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة، ولذلك؛ فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصِّعاب؛ أي: لا تحدٍّ بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصِّعاب فعليك:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد. أي: عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي له أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحا وتصالحا وعفوا {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[1].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائما أفضل من البعض، أي: دائما الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحق يعملون على إحقاقه تحدّيا وقهرا للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة؛ ولهذا الصّعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

---

[1] الأحزاب 25.

. اقبل بدفع الثمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدّي الصِّعاب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّذ ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصِّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، حتى تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندا، ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، فإنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع

وغير متوقّع، والعاملون عليها وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

ومن هنا، تعد الصِّعاب مجموعة من المعيقات التي لا يتمُّ تجاوزها إلّا بالإزاحة، أي: لا إمكانية لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تزاح العوائق من السبيل المؤدّي إلى ذلك.

ولأنّها عوائق؛ فهي قابلة لأن تزاح، ولأنّها قابلة للإزاحة، فلا داعي للانتظار، ومن يتأخّر عن إزاحتها في شبابه، سيجد نفسه متأخرا عمّن أزاحوا مثيلاتها وتقدّموا، والصِّعاب لا تخيف، بل المخيف عدم الإقدام على تحدّيها. ومع ذلك فالصِّعاب لا تواجه الكسالى، بل تواجه المتطلّعين لصنع المستقبل، فالصِّعاب إن لم تداهم تحدٍّ، تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، والتهيّؤ للعمل المنتج يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب، ومن ثمّ فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدّي إلى نيله.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد فلا إمكانية؛ ولذلك فإنّ غياب الأمل يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصِّعاب؛ أي: لا تحدّ بلا أمل وإرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصِّعاب أملا فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. أصْمد فالصّعب لا يصمد، وعليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك ويحترمك ويعترف بك مساويا له على كفّة العدالة.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض أفضل من البعض، أي: دائما أصحاب الآمال العريضة والواعون والصّابرون والمؤمنون يواجهون التحدي بتحدٍّ.

. قبل بدفع الثّمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلا أو يخالجك جبنا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد، وفي المقابل إن استسلمت فستجد نفسك متسوّلا مع المتسوّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحدّيًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

ولذلك؛ فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النّعيم، وهذه مع أنَّها غايات، لكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات ومن بعدها نيل المأمول. ولكن وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته والرّغبة من ورائهما حافزٌ ودافعٌ.

ولذلك فتَوفُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات الإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحا رائعا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فقد لا يحقّق ذلك، فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله "هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النجاح؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشّاب ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ عليه الحكيم "من رغباتك المشتعلة"، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملئ بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء

الماء ومرّت عدة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلّمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلم شيئا.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلّمت الكثير؛ ففي الثواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائما راغبا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

ومن هنا، وجب غرس الثقة في أنفسنا ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا بلوغ المأمول، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلا. ولهذا لا ينبغي لنا أن نغفل عن:

. تهيئة الاستعدادات النفسية والبدنية والمالية لما هو متوقّع ومأمول ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثّقة في النفس؛ حتى يتم التمكّن من تحدي الصِّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعية الموجبة.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

. تنمية قدرات أفراد الشعب كلّه وغرس الثقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والنفسية والذوقية وفقا للخطط والاستراتيجيات المرسومة.

. تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلّع بهم إلى ما يُحدث النُّقلة.

. غرس الثقة في أفراد الشعب من خلال مؤسّسات الدّولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد.

. تحفيز أفراد الشعب على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّسات الدّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمة وإنتاجا.

. استثمار الإمكانات البشرية والمادّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعية في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحِّها،

واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. تأكيد أهمية المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات.

. دفع الأفراد والجماعات وهيئات الدولة ومؤسّساتها إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق بأمل يحفّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل.

. تمكين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك؛ ولهذا فكلّ ما لم يكن مستحيلا ممكنٌ، وكلّ مستحيل مثبت وهو الذي نعلمه ولا نعرفه، فعلى سبيل المثال:

. نعلم يوم الحساب ولكنّنا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

. الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

. القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها.

. الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا.

. المستحيل مع أنّه موجود ولكنّه لا ينفى كغيره من الموجودات في دائرة الممكن، فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السبت فإنَّ الأحد سيأتي غدا وفقا لعلمنا، ولكن عندما يقع المستحيل فقد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه. إنّه الشيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا؛ ولذا فكل من الممكن والمستحل يحدثان وفقا لتوقعاتنا، ولكن الممكن يتحقّق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطع أيدينا على فعله، أي: المستحيل نتوقّعه ولكن وقوعه من خارجنا، أمّا الممكن فنتوقعه ويحدث داخلنا[2].

تحدّي الصِّعاب تحدّي المخاطر:

التحدّي لا يكون إلّا للمخاطر وما يخيف؛ وذلك بغاية بلوغ ما يطمئن ونيل المأمول؛ ولهذا فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيءٍ، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم والمتقدِّمين الذين ارتقوا علمًا وتقنيةً وحُسن إدارة؟

ولأنّ التحدّي لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي لمن يرغب التحدّي ارتقاء أن يَقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة

[2] عقيل حسين عقيل، الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 14.

لمنتجات الغير؛ لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع الندم.

فالعمل تحدٍّ يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، فمن رغب مكانة ويأمل تبوأها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل تحدٍّ؛ لتكون المكانة للجميع، {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[3].

العمل تحدٍّ يصعد بأصحابه من تحت الصّفر إلى الصفر تحدٍ دون أن يتوقّف عنده أملا، بل يتجاوزه بالعمل حتى يصعد إلى القمر، ثم يتجاوز القمر لكونه لم يكن النهاية، فيغزو الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة الأمجاد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، لكنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه تحدٍّ.

---

[3] الأنعام 135.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهلا للتحدّي، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل تحدٍّ تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا فعليه بالعمل وتحدّي الصِّعاب، ولا يخش شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

درء المخاطر تحدّي صعاب:

يتّسم العصر الذي نعيش فيه بامتلاك القوّة حتى يمكن القول إنَّه أشبه بغابة كبيرة لا سيد فيها إلّا القوَّة، ممّا يجعل المعضلة الحقيقية سقوط كلّ المعايير التي من شأنها أن تكون سيّدة وحاضرة بين النَّاس جميعا، فالأخلاق والأعراف والقيم ليس لها مكان فانتفاؤها يمنح القوّة الغاشمة المكانة المتقدِّمة، فتُختزل الحياة بهذه المفردة التي تقود النَّاس نحو نهاية بائسة يراد منها الخنوع والذلّ والهوان، ممّا يكتنف الحياة تصورات بعيدة عن البيِّنة التي يمكن أن تكون للنّاس؛ فتسقط الاختيارات التي تمنحهم الحرّية في التعبير أو اتخاذ القرار أو المكوث داخل أيِّ دائرة يريدونها، وهنا تكون الوقاية عاملا من عوامل النجاة الذي يكون من خلاله الحصول ولو على أدنى شيء وهو البقاء بعيدا بحرّية وكرامة عن يدّ البطش والجبروت؛ فالوقاية يرتسم فيها الانكفاء عن كلّ ما يسقط أوراق الحياة الكريمة ويبدّد الحياة، ويدخلها في متاهات لم تكن بالحسبان.

ولذا؛ فإنَّ درء الخطر في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع يتطلّب عملية تحديث مستمرّة تكون مواكبة لكلّ التطوّرات الحاصلة في العالم في جميع الجوانب؛ فيكون التدافع والتّتابع المعرفي من الأولويّات التي تكون الشغل الشاغل، ذلك أنَّ أيَّ توقُّف أو تراجع يفتح ثغرات في هذا الحصن

الذي تكمن وراءه كلّ قوّة يمكن أن تكون، وكذلك التّبعات التي تحدث، لها دور مهمّ في خلق حالة من الاستدراك لكلّ المنجزات التي حصلت؛ فتكون نقاط العودة متسارعة تبحث عن نقطة الصّفر التي ينتهي كلّ شيء عند أعتابها، ويكون درء الخطر بكلّ تجلّياته حاضرا في مشاهد متعددة يكمن فيها البحث عن تقوية الضعفاء الذين يمثّلون في حقيقة الأمر النقطة الأضعف، هذه النقطة يجب أن يكون لها مكان خاصّ يتناسب معها من أجل إعدادها إعدادا جديدا ينقلها إلى مكان جديد تستطيع أن تكون فيه قوّة فاعلة في الاعتراض على المظالم ومن ثمّ تستطيع التحدّي، هذا الاعتراض في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع يحيلهم إلى قوّة تنويرية جديدة يكمن فيها الرفض والتعبير الجديد المرتبط بحيثيات متناوبة يستشفُّ منها البحث عن الخلاص والابتعاد عن كلّ إهانة تحدٍّ للصّعاب.

وهنا يطرح درء الخطر سمة اعتباريّة لمن يمتلكه، هذه السّمة لا تأتي من فراغ؛ فهي مبنيّة على الإقدام الذي يمثّل الخطوة الأولى تحدٍّ، فالنّكوص والتباطؤ في معظم الأحيان تكون نتيجته وبالا؛ فالحياة في جميع جوانبها تسير ضمن إيقاع سريع من التطورات الهائلة التي تظهر يوميّا، وكلّ يوم يختلف عن سابقه، فيكون الإلحاق والدّفع سمتان ثابتتان لا يمكن التفريط بهما، حتى إنَّ مفردة (درء الخطر) وما تعنيه لا يكون مدلولها في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع واحدا، إنّما يكون مدلولها متغيِّرا مواكبا للحياة ومتطلّبات مشبعاتها المتغيّرة والمتطوّرة عبر الزّمن؛ ولذا فالتغيّرات المتعدّدة تطرح سمة جديدة أو إحالات جديدة يكون الانفتاح فيها تابعا لصيرورة متوالية، وهذا يخلق حالة من الإرباك في دائرة الممكن، ولكنّه لا يدخل دائرة السّلب فيها؛ ذلك أنَّ الإرباك أو حتى الشكّ المستمرّ يخلق حالة من التّتابع لكلّ ما يجري؛ فتكون الغفلة معدومة أو حتى لا يكمن وراءها تبعات لا ترتقي إلى مستوى الفشل

الذريع، وبعدها يكون درء الخطر متجدِّدا مع الحياة ويكتسي دائمًا بما يمنحه صلابة وتحدّيًا يمكّن من إحداث النُّقلة، هذا الأمر كلّه يدعو إلى بلورة أفكار جديدة قوامها الاتكاء على عناصر متجدِّدة يفوح منها التحديث الواقعي الذي يبصر الفكر ويمنحه مديات بعيدة، هذه البلورة يكون من ورائها في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع خلق أساليب متعددة ومتنوِّعة تكسب درء الخطر مرونة جديدة تضاف إلى ما هو عليه، ولذا فنحن نرى إنَّ ثوابت الحياة يمكن أن تتغيَّر أو تتبدَّل أو حتى أن يضاف لها ما يضاف وفقا لِما هو متوقّع ولِما هو غير متوقّع، أي: بحسب القراءة المستقبلية التي يكون فيها إجراء عملية تصحيحية لكلّ ما يمكن أن يعد من الثوابت في دائرة الممكن.

وعليه: كلّما كان هناك فراغ سياسي، أو اقتصادي، أو أمني، حفّز الآخرين الذي يمتلكون القوّة على ملئه؛ ولذا فإنَّ درء الخطر في دائرة الممكن يؤدّي إلى بلوغ الحلّ الذي يحفظ البلاد وسياستها واقتصادها ومجتمعها من الاعتداء والعدوان، ومن هنا فإنَّ إعداد العدّة واجب، وقبول التحدّي واجب، وإدارة وقت تحدّي الصِّعاب أكثر وجوبا.

وعليه: تحدّي الصِّعاب لا يكون إلّا عملا، فالعمل تحدٍّ يوقي من الحاجة، وعندما يكون فائضا يسهم في إشباع حاجات أخرى متطوّرة؛ لذا فإنَّ الاتجاه الوقائي هو درء الخطر في دائرة الممكن المتوقّع يستوجب العمل على تحقيق الأمن الغذائي وإلّا سيكون المجتمع معرّضا للمجاعة أو الفقر أو الحاجة، وفي دائرة الممكن من يمتلك القوّة المالية بإمكانه أن يتعاقد مع الذين يستزرعون أراضيهم قمحا لسنوات، ولكن في دائرة غير المتوقّع إذا ما احترق القمح أو أُحرق وفقا لسياسة من يمتلك القوّة تصبح عقود الفقراء في مهبّ الريح، ويصبح ما يمتلكونه من نقود لا يشبع حاجاتهم من الطّعام، ومن ثمّ فمن أراد وقاية من هذه المخاطر وما يماثلها فعليه بتحدّي الصِّعاب ويعمل

نهضة في كلّ المجالات، وإلّا سيكون خير من يحافظ على ضعفه الذي يجعله في حاجة لمن يمتلك القوّة التي بها قد يساوم على حرّيته وحرّية بلده وما يتعلّق به من أمر.

إذن: تحدّي الصِّعاب يمكّن من امتلاك القوّة، وعدم تحديها يجعل الأوطان مستسلمة وتابعة، فالذي يمتلك القوّة الغذائية بفائض يمكن تصديره للذين لا يمتلكونه سيظل مخيفا للذين هم في حاجة إلى استيراده وبخاصّة إذا قرّر حرمانهم منها بأيّة علّة، وهنا سيظل الضّعيف ضعيفا في هذا الاتجاه إلى أن يتمكّن من تحدّي الصِّعاب وامتلاك مقاليد القوّة التي تجعله منتجا مماثلا للذي كان يحتكر الإنتاج ويهدّده بين الحين والحين، وسيظل المخيف مخيفا إلى أن يمتلك الخائف حرّيّته وثروة وطنه ويتحوّل من خانة الاستهلاك إلى خانة الإنتاج، فيصبح مرهبا للذين كانوا يعتقدون أنَّهم وحدهم القادرون على الإنتاج واحتكاره، وحينها يُحسب له ألف حِساب ويُعتبر ويُقدّر ويتمّ الاعتراف به مع فائق الاحترام، وهنا فمن لم يفكّر فيما يُفكِّر فيه أكثر من مرّة؛ فلا شكّ أنَّه سيكون في دائرة الممكن معرّضا لِما هو متوقّع ولما هو غير متوقّعٍ ومن لم يقِ نفسه من المفاجئات لا يستغرب إنْ ألمَّ به ما ألمَّ[4].

تحدّي الصِّعاب يجعل الخوف شجاعة:

الخوف لا يصنع المستقبل إلّا إذا توافرت الشّجاعة التي هي تصميم على الإقدام بعد حسابات موضوعيّة، ولكن إنْ تمَّ التخلّي عن الإقدام بعدما توافرت معطياته الموضوعيّة، تُصبح الصفة السائدة هي الجبن، وفي مقابل ذلك عندما يكون الإقدام عن غير موضوعيّة، تُصبح الصفة السائدة هي التهوّر، فالشجاعة تكون حيث لا يكون الظلم، والتهوّر قد يكون والظلم

---

[4] عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقع وغير المتوقع) شركة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 175 . 181.

معا، فالشجاعة عقباها يُحمد، والجُبن عقباه يُذمّ، والتهوّر أصحابه يلامون، والشجاعة قد تؤدّي إلى الإقدام وقد تؤدّي إلى الانسحاب وكذلك قد تؤدّي إلى الإحجام؛ فالمتّصفون بها لا يقدمون إلّا على ما يجب الإقدام عليه، وقد ينسحبون إذا عرفوا أنّ الإقدام في مرحلة من مراحله سيؤدّي إلى التهلكة، وقد يحجمون عن وعي لمعرفتهم بما يجب؛ ولذا فالإقدام والانسحاب والإحجام لا تتمّ إلّا بعد معرفة واعية بها يسترشد العقل.

ولسائلٍ أن يسأل:

هل الشّجاعة مواجهة الخوف؟

أقول:

لا شجاعة إلّا والخوف قوّة من ورائها يُحفّز على الإقدام، فلولا الخوف ما كانت الشّجاعة، ولا مرشد للشجاعة إلى غايتها إلّا الخوف؛ ولذا ستكون الشجاعة ضالة لطريقها ما لم يرشدها الخوف إلى الأهداف والغايات التي تستوجب الإنجاز والبلوغ.

إذن: لا يمكن أن تكون الأنفس ممتلئة شجاعةً إن لم يكن الخوف قوّة إثارتها، ومرشدها تجاه ما يجب أن يُنجز من أهداف وغايات عظيمة، فالخوف لا يكون إلّا حيث تكون المخاطر استقراءً ومشاهدة واستطلاعا، فبه العقل يُدرِك ما يجب وما لا يجب، وبه يتمّ الاسترشاد الموضوعي إقداما أو انسحابا أو إحجاما.

ولأنّه لا شجاعة إلّا والخوف من ورائها، إذن: كلّما اشتدّ الخوف ازدادت الشجاعة شدّة، وكلّما انفرج الخوف انفرجت الشجاعة من شدّتها؛ ولذا فالعلاقة لا تكون إلّا تكاملية بين الخوف والشّجاعة. أمّا العلاقة بينها والجُبن فهي علاقة تناقض؛ فحيث ما يحلَّ الجبن تغيب الشجاعة؛ فالجبن

خلاف الخوف، من حيث كون الجبن مانعا للإقدام والانسحاب الموضوعيين، والخوف محفّز عليهما ومرشد إليهما تجاه ما يجب، فهو المنبّه على مكامن الخطر وبؤر الفساد، لأجل القضاء عليها وتفادي مؤثراتها السلبية، وما يترتّب عليها من مظالم.

فالخوف مُنبّه فطري للعقل كي يتدارك الأمر قبل وقوع الكارثة؛ ولهذا فهو يؤدّي إلى أخذ الحيطة والحذر كلّما توافرت الشجاعة، وفي مقابل ذلك لا يؤدّي الجبن إلى أخذها.

والشّجاعة موضوعيا لا تكون ظاهرة إلّا في حُسن تصرّف الفعل، ولا علاقة لها بتلك العضلات المفتولة لدى البعض، فالكثير منهم متهوّرون وبعضهم جبناء وبدون شكّ منهم العقلاء (الشجعان)؛ فالشّجاعة في الفكرة والرأي المترتّب عليها والقرار المنفّذ لها. أمّا التهوّر الاستعراضي فلا يُؤدِّي بأصحابه إلّا للتهلكة أو الخسارة في أسواق المنافسة الحرّة، فمن يتّخذ القرار الصّعب في الظرف الصّعب عن حكمة يوصف شجاعا، ومن يتقدّم لفك الفتيل قبل الانفجار المؤدّي إلى التهلكة يوصف شجاعا، ومن يتبيّن خطورة ذلك عن معرفة واعية ويمتنع عن فكّه وهو قادر يوصف جبانا.

وعليه: فالشجاعة قوّة عقلية (تفكُّر وتدبُّر) تُقدِّم أعمال الخير وأفعاله الحِسان، وتُسهِم في صناعة التاريخ وتَرسيخ الهويّة، وأصحابها يقبلون دفع الثمن مقابل جزاءٍ إنساني في مرضاة النفس والخالق تعالى.

ولذا؛ فالفرق كبير بين الشجاعة والتهوّر؛ فالشجاعة موضوعيا لا تكون إلّا بحسابات الخوف، أمّا التهور والجبن معا فلا حِسابات في قاموسهما للخوف الموضوعي؛ ممّا يجعلهما يوقعان بأصحابهما في أوّل المحاذير التي لو كان للخوف مكانه في قاموسهما لتمّ تفاديها.

الشجاعة لا تتحقّق إلّا عن رويّة، وعاقبتها السلامة الممكِّنة من بلوغ السكينة. أمّا التهوّر فلا علاقة له مع الرويّة، وعاقبته الندم والألم معا، ممّا جعل للشجاعة منطق، وجعل للتهوّر سذاجة.

ولمتسائلٍ أن يتساءل:

ـ لماذا الشجاعة عن منطق؟

ـ ولماذا التهوّر عن سذاجة؟

أقول:

الشجاعة لا تكون إلّا عن منطق؛ لأنَّها تستهدف إيجاد حلٍّ، وتؤسّس على سرعة التدبّر قبل تفاقم المشكل.

والتهوّر لا يكون إلّا عن سذاجة؛ لأنَّه يؤدّي إلى تأزمات؛ ولذا فهو المؤسس على التسرُّع.

وعليه: فالعلاقة الموضوعيّة بين الشجاعة والخوف علاقة إقدام وتحسُّب وفطنة وانتباه وأخذ حذر، وصناعة مستقبل فيه السكينة والأمن. أمّا التهوّر فلا نتائج له إلّا فقدان الثقة بين الأنا والآخر؛ ممّا يجعل لكلٍّ حساباته عندما تحين الفرصة.

إذن: الشجاعة لا تكون إلّا إذا حلّت الثّقة والأمن في النفس، أمّا إذا رحلتا عنها أو قاطعتا الالتقاء بها، فلن يكون في النفس مكان يُحلُّ فيه إلّا أماكن الجبن والتهوّر؛ ولذا فإنْ استقرّ الأمن في النفس، رحل الخوف عنها، وإذا فارقها الأمن، حلّ الخوف فيها، وسيظلّ حتى أن تبلغ الأمن وتسترجعه إنْ أرادت سكينة وطمأنينة مصداقا لقوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ

اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[5]. أي: إن القرية كانت مملوءة بالعباد وخالية من الخوف، حاجاتها مُشبعة، ولم تكن في حاجة؛ حيث لا منقوص لديها، ومع ذلك كفرت؛ فلم تُقدّر أنعم الله عليها، فألمّ بها الجوع وحلّ الخوف في نفوس ساكنيها.

وهكذا النتيجة دائما كما يحلُّ الخوف محلَّ الأمن والسكينة والطمأنينة هي تحلّ محلّه، وسيظلّ الحال هكذا مبادلة إلى أن يبلغ الإنسان مخافة الله فلا يخاف، أي: سيظلّ الخوف رفيقا في أنفسنا إلى أنْ تتقي الأنفس ربّها خوفا، فإذا اتّقته خوفا انعدم الخوف عنها وبقيت في سكينة آمنة مطمئنّة، وإن بلغتْ هذا المبلغ، بلغتْ بلا خوف مقاصدها.

وعليه: إنَّ الخوف وجوبي، سواء أكان خوف حذرٍ أم خوف حرصٍ، ولتبيان الفارق بينهما نقول:

أ ـ خوف الحذر: (الخوف من) الخوف من الآخر الذي يستوجب إعداد عُدّة، فالإحساس بالخطر يستوجب أخذ الحذر الذي يترتّب عليه أخذ الحيطة باختيارات المواجهة أو اختيارات الانسحاب، ولكن إذا لم يكن الأمر محسوما لصالح أحد الاختيارين، يصبح التنسيق هو الحلّ، وذلك حسب التقديرات والاحتمالات الممكنة، فعلى سبيل المثال: الصراع بين العرب والإسرائيليين على الأرض أنتج الشعور بالخوف المتبادل، خوف العرب من إسرائيل من أن تمتلك الأرض المحتلة، وخوف إسرائيل من العرب أن يخرجوها بالقوة؛ ولهذا سيستمر الصراع ما دام الإحساس بالخوف مستمرا.

ولأنَّ الخوف قوّة تفاعليّة في النفس تجاه الآخر وما يمكن أن يفعله فهو بطبيعة الحال قوّة مؤثّرة إيجابيا إن تمّ التخطيط لِما يجب أن يكون بديلا

[5] النحل 112.

أو حلّا ليحلّ سكينة وأمنا بدلا من ذلك الخوف؛ فالخوف على الحياة ممّا يلمّ بها من مخاطر يستدعي إعداد عُدّة؛ لتفادي تلك المخاطر، وإلّا في دائرة الممكن ستقع المخاطر لا محالة؛ ولهذا فالخوف الحذري تجنبي وقائي.

ب . خوف الحرص: (الخوف على)، كالخوف على النفس والخوف على الآخر الذي لم يُقدِّر ظرفه وإمكاناته وما يجب أن يقوم به أو يؤدّيه، وهذا النوع من الخوف لا يكون إلّا من حريص لا متهوّر ولا جبان، ممّا يجعل الآباء والأمهات والمسؤولين المحترمين ومحبي الخير حريصين كلّ الحرص على ألّا يلحق أذى بأبنائهم وبني جنسهم ومن ينتمي إليهم قيما وفضائل.

وسيظلّ هذا الحال كلّما توافرت اشتراطات وجود الخوف الذي يترتّب عليه بالضرورة وجود خائفٍ ومخيفٍ. وعندما يحسّ أيّ طرف على أيّ بقعة من خريطة العالم، بأنَّ هناك من يشكل خطرا عليه؛ فقد يبادر هذا الطرف الذي يحس بالخطر بالهجوم على مصدر الخوف؛ ليباغته بضربة قاصمة يمكن أن تضعف الخصم وتعيده إلى طاولة المفاوضات (طاولة التنسيق).

تحدّي الصِّعاب استنهاض خوفٍ:

الاستنهاض إيقاظ من الغفلة والتفات إلى ما يجنّب عن سالبٍ، أو يمكّن من موجبٍ، قبل أن يأخذ الموجع مداه في النفس ألما؛ لأنّ الخوف يكمن في النفس الإنسانية، لكن هذا الكمون لا يكون مستديما، أو حالة تكون أشبه بالمكوث الذي لا يرى بزوغه أبدا، لأنَّ المثيرات الخارجية تسعى إلى يقظته في تشكيلات متعددة ومتنوّعة، فيكون ظهور الخوف ضمن حالة متفاوتة بحسب المثير الذي يستفّزه، هذا الأمر يكون تحقّقه ضمن آنيّة مفترضة يكون حصولها بعد امتدادات واضحة المعالم، يُرى فيها كلّ التمركزات

المطلوبة، والتي يكون من بعدها التوجّه العلاجي قائما من خلال مثول الخوف وراء كلّ ما يحصل.

إنَّ هذا الانفتاح في المعالجة قائم على آنيّة تكون محدّدة الحدود واضحة التفاصيل، ومن الممكن الوقوف على كلِّ ما من شأنه أن يكون الحلّ فيه ظاهرا سواء أكان مادّيا أم معنويا؛ فتكون المعالجة سريعة، لكنّها لا تخلو من أخطاء متفاوتة قد تكون قليلة في بعض الأحيان، قد تتّسع في أحيانٍ أخرى لتصل الأمور في بعضها إلى وجود خروقات غير منطقية، تجعل الكثير من الحلول في المستقبل في مهبّ الريح، هذه الآنيّة أسهمت بشكل أو بآخر في استنهاض الخوف من خلال رسم حجم المخاطر وتبيان ما فيها من تفصيلات تعينه على إيجاد حلول يكون من خلالها الوصول إلى نقاط التقاء فعليّة تكسب الزمن أوّلا، وتخرج الوضع الحرج أو الخطر إلى وضع آخر أفضل ثانيا، إلّا أنَّ الوضع الأفضل يكون وفق مقاييس غير ثابتة؛ إذ تكون هذه المقاييس تابعة إلى مجمل العوامل التي التفّت حول الخوف، ومنحته هذا الاستنهاض الذي كان سببًا فاعلًا في الوصول إلى النتيجة الحالية التي هي في كلّ الأحوال منقادة للبداية الأولى التي كانت قاعدة الانطلاق.

يسير الخوف باتجاهات واضحة المعالم حين يكون الاستنهاض مبنيا على أسس علمية، تتّسع مراحلها نحو إيجاد توافقات بين الحدود المفتوحة التي لا يُرى فيها في كثير من الأحيان إلاّ ابتعادا عن المركز المفترض، هذا المركز يكون من خلاله طرح ما يمكن طرحه وإعداد ما يمكن إعداده؛ ولهذا لا تكون البداية مفتعلة بأيِّ حال من الأحوال، لأنَّ الافتعال لا يولِّد في المستقبل إلّا أخطاء جسيمة، ونحن إذ نرى في البداية أنّها يجب أن تكون مبنية على اتساعات علمية مختلفة تلملم المطروح وتدخله في سياقات حقيقية وافتراضية، فتمنحه بذلك مديات متباينة يكون على أساسها الوصول إلى

الاتكاءات التي يكون من ورائها الوقوف على الحلّ، والذي يكون من ورائه تفادي المخاطر التي يمكن أن تحدق بالإنسان، ما يجعل تحدّي الصِّعاب حيويّة دافعة تجاه التخلّص من المخيف.

إن السير خلف طروحات ثابتة يجعل من استنهاض الخوف أداة ناقصة الفاعلية؛ ذلك أن التغيُّر المستمر في الحياة يخلق حالة من التصحيح المستمر لكلِّ ثوابت الحياة، وهذا بطبيعة الحال يوجد ارتماءات متعددة تحاول أن تجد لها ما يكفل بقاءها ضمن دائرة الاستنهاض، فتكون الأمور ضمن هذه النسقية باطلة وغير قابلة لردع المخاطر، فتقلبات الحياة جعلت الكثير من الأمور تكون ضمن انزواءات لم يتوقّع لها أن تكون فيها، فكانت وجودا غير مرغوب فيه في كثير من المواقف، وهنا تنبري الأمور ضمن استمدادية جديدة، فتحاول أن تجد ما يمنحها صيرورة البقاء ضمن دوائر جديدة تسهم من خلالها في إيجاد حلول واضحة، وإن كانت استعراضية، فإنّها ملبية لبعض الارهاصات الحاصلة التي تبدو غير خطرة.

وتتحدّد الحياة من خلال تقسيم يطرح كلّ ما من شأنه أن يكون سببا في استنهاض الخوف؛ ذلك أنَّ المخاطر أصبحت ضمن مدارك الإنسان المختلفة، فيلتفَّ حولها استشعارات متباينة تكون حافلة بأسباب البحث عن كلِّ النقاط التي يكون من ورائها الوقوف على الصورة الافتراضية التي ستكون في المستقبل، وهذا يشمل ما يسمى بصناعة المستقبل، فالمستقبل في حقيقته غير متحقّق، إلّا أنّه يمكن أن يتحقّق من خلال رسمه بتقنية خاضعة لكلِّ ما يسهم في تحقّقه، وفي هذا المقام يتراءى لنا مصطلح المستحيل الذي يمكن أن يكون باعثا لتوقفات كبيرة يكون من بعدها تحقّق المخاطر، ومن ثمَّ الانزواء عن إيجاد حلول تكون ناجعة في كلّ المقاييس، ولكي نبدِّد هذا المصطلح ولو آنيّا علينا أن نلجأ إلى المتوقّع وغير المتوقّع كي

نسلب منهما الحلول التي يمكن أن تكون باعثة على إيجاد أرضية صلبة وواضحة المعالم، ويكون من ورائها خلق استنهاض للخوف يكون من ورائه صناعة المستقبل بالكيفية المفترضة والمرادة تحدّي صعاب.

ومن هنا يصبح المتوقّع يسير في دائرة المتحقّق الذي يكون وجوده وصداه حاضرا في المنظور وغيره، وهذا بطبيعته يخلق حالة واضحة من وجود ثوابت يكون حضورها ممثّلٌ لجانب مهم من جوانب صناعة المستقبل، فيكون هذا الحضور استمرارا لهذه الصناعة حتى يمكن القول إنَّها تدخل حقل البديهيات التي يكون وجودها لا بديل عنه.

أمَّا غير المتوقّع فيكون خاضعا لنظرة استشرافية باحثة عن كلّ ما من شأنه أن يكون مؤسّسا بطريقة أو بأخرى لصناعة مستقبل مطلوب وفي بالمواصفات الافتراضية التي وضعت عند بداية الاستنهاض، ولعلَّ البداية قد تكون مفتعلة في بعض جوانبها نتيجة التحسُّب المبالغ فيه إلّا أنَّه بمرور الزمن قد يكون هذا الافتعال ممثّلا لكثير من الوقائع التي يمكن أن يكون لها شأنٌ آخر، فلا يكون هناك استبعاد لأيِّ استنهاض وإن كان بعيدا عن السمات المتواجدة ضمن الدائرة الظنيّة الحاضرة في كلِّ حركة متّجهة نحو الاستنهاض تحديًّا للصعاب.

عليه: يكون استنهاض الخوف باعثا لإيجاد قواعد جديدة تكون ملبِّية لما يمكن أن يكون بديلا عن الماضي، ودون الركون إلى كلِّ ما من شأنه أن يلغي التوجّه نحو المستقبل بافتراضات بالية وعقيمة لم تنتج إلّا ما يُعطّل الحياة ويجعلها تمرّ بأزمات متوالية.

إنَّ الحياة في كثير من تفاصيلها هي مبنيّة على استنهاض الخوف لصناعة مستقبل يكمن فيه الأمان المطلوب في كلِّ جوانبه، فمن ذلك نجد أنَّ المقررات التعليمية إن لم تكن مصاغة بمنهجية استنهاض الخوف لدى

المعلمين والمتعلمين فإنَّها ستفشل في تحقيق الغايات المرجوة لصناعة المستقبل تحديا، فإعداد كمّ من المعلومات الملبّية لاستنهاض الخوف، يكون موافقا لما يمكن أن يكون منجزا مستقبليا، فالمقررات إنْ لم يراع في صياغتها استنهاض الخوف في أنفس المتعلمين لا يمكن لهؤلاء المتعلمين صناعة المستقبل المأمول منهم، حتى يكونوا من المواكبين لحركات التغيّر والتقدّم التي هي دائما في حالة تطوّر من عصر إلى عصر مع إصرار على تحدّي الصِّعاب.

ولذا؛ فإنَّ الخوف من أعظم النّعم التي تحفِّز الإنسان وتدفعه إلى كلّ ما من شأنه أن يجنِّبه المخاطر والآلام والمظالم، ويجنِّبه الحاجة والعوز، ويُمكِّنه من بلوغ مشبعاتها والإقدام على تطورها وتطويرها، حتى المناهج التي رأينا فيها أن تكون ملبِّية لاستنهاض الخوف، هي متغيِّرة ومتبدِّلة؛ لأنَّ الخوف أيضا متغيّر ومتبدّل، وهنا يكون النَّاس ضمن اتجاهين:

الاتجاه الأوَّل: يكون منهم متتبِّعا لكلّ ما يسهم في استنهاض الخوف من أجل صناعة المستقبل، فتكون حركتهم واعية وتسير في مدارات تلبّي ما يطمحون في الوصول إليه، فتكون أدواتهم خاضعة لكلّ ما يصل بهم إلى التحقُّق المراد، حتى ردود أفعالهم تكون منتمية إلى أرضية واقعية التشكيل، فتمنحهم بعد ذلك حلولا صحيحة كما يريدونها في كثير من الأحيان.

الاتجاه الثاني: المتفرجون الذي يراقبون كلّ ما يجري، فلا يحركون ساكنا وسيظلون يتفرجون ما لم يعرفوا عن يقين أنّ استنهاض الخوف ضرورة للفرد والجماعة والمجتمع، وهذه المعرفة لا تأتي من فراغ، بل يكون السعي من أجل معرفتها هو مطلب مهم يمنحهم فيما بعد هذا المطلب نتائج غير متوقعة على كافة الأصعدة التي كان ينظر إليها أنَّها على غير مهمة.

إذن: من يستنهض الخوف في نفسه تحديا يتقدّم ويتطوّر حتى يصل به الأمر إلى أن يغزو الفضاء وهو يصنع المستقبل، وفي المستقبل أيضا سيغزو

ما لم نعرفه الآن في دائرة غير المتوقّع؛ ولهذا من يعلم بذلك لن يُفاجأ، أمَّا الذين لا يعلمون فبالضرورة ستكون المفاجأة في أنفسهم عظيمة ويا ليتها تكون موجودة.

ويمكن التوقُّف عند مرتكزات مهمة في الحياة يكون استنهاض الخوف فيها السّبيل إلى صناعة المستقبل المطلوب منها:

1 – الإعلام

يمثل الإعلام عصب الحياة الآن في توصيل المعلومة وبمختلف الوسائل، فالفضائيات والإنترنت والجرائد والمجلات والاتصالات بأنواعها، تخلق حالة من الصيرورة المطلوبة في توجيه النَّاس نحو أفكار مختلفة يكون الالتقاء عندها هاجسا من هواجس البحث المطلوب، فالنَّاس مشدودون إلى هذا الإعلام بكيفيات مختلفة، فعند توظيفه بالطريقة التي يتمّ فيها استنهاض الخوف، يكون التفاعل متحقِّقا وملبّيا لما يمكن أن يكون مسهما في صناعة المستقبل.

إنَّ الحياة تسير نحو الأمام بطرق مختلفة، فتكون الارتباطات المختلفة مدعاة لبناء ركائز يكون من ورائها تحقيق الكثير من التوجهات التي تكون أكثرها قائمة على اختزالية واضحة، فالإعلام في هذه المواقف يستنهض النَّاس نحو المتحقِّق وما سيتحقّق؛ فيكون الترابط الحاصل منتميا لكلّ ما يكون باعثا لامتدادات تكون موافقة للبداية التي يتمثّل فيها الانطلاق الأوّل، والإعلام يسمح بوجود فسحات كبيرة يكون من خلالها الوصول إلى المبتغى المراد، حتى إنَّ النَّاس جميعا يختلفون في استقبال المعلومة، ممّا يسمح بوجود تفاوت، تكون المعلومة فيها محصورة بين أمرين:

الأمر الأوَّل:

مصدر المعلومة الذي تكون عنده نقطة البداية؛ إذ يعرض معلومته بطريقة تنمّ عن وجود امتدادات مستقبلية مرتبطة بالمعلومة، فكُلُ الوجود الخارجي القابل لاستلام المعلومة هو يرتبط بها بطريقة أو بأخرى، ممّا يحمّل نقطة البداية تبعات الصحة التي يجب أن تكون؛ لأنَّ ما سيحصل في المستقبل بكلّ ثوابته ومتغيّراته وتداعياته مرتبط بالبداية التي يُنظر لها دائما أنّها الأساس الذي لا بديل عنه.

الأمر الثاني:

مستقبل المعلومة المرتبط باستنهاض الخوف لابدَّ أن يمتلك نوعا من التكيّف مع هذه المعلومة، وهذا الأمر لا يكون وفق امتداد واضح عند كلِّ النَّاس، بل يكون التفاوت حاضرا ممّا يطرح وجود نهايات متفاوتة أيضا، فالمستقبل المطلوب قد لا يبدو متحقّقا حين يكون التفاوت حاصلا.

والإعلام يمكن أن يكون له دور فاعل حين يضع المستقبل أمام النَّاس جميعا بالطريقة الافتراضية التي تجعل منه واقعا أمام العين؛ وذلك من خلال إيجاد تشكيلات شاخصة تطرح المستقبل كأنّه حقيقة ماثلة، وهذا الأمر نراه في كثير من الأحيان حين نشاهد نماذج من المشاريع الضخمة أو المجمعات السّكانية أو التجمعات السياحية قبل أن يتمّ تنفيذها، فمجرد أن نرى شكلها الافتراضي على طاولة العرض، نستشعر أنّ الخوف كان حاضرا منذ البداية من أجل أن يكون هناك حلٌ لمشكلة السكن أو لمشكلة العاطلين عن العمل.

2 – المراكز الدّينية:

تتمثل المراكز الدينيّة بمنابر المساجد والكنائس والأديرة التي يكون الالتفاف حولها طواعية، فيكون استنهاض الخوف ذو فاعلية واضحة،

فحضور النَّاس بهذه الطّواعية يسهم بشكل أو بآخر في صناعة المستقبل؛ لأنَّ استنهاض الخوف الذي يصدر من هذه الأماكن الدّينية، يكون استقباله غير قابل للمعارضة الذاتية أو حتى للمعارضة الظنيّة، فيحصل بذلك استنهاض الخوف المطلوب الذي يفضي إلى صناعة المستقبل المراد.

والمنبر الدّيني يمثّل في جميع البلدان مركزيّة واضحة يلتفّ حولها النَّاس، فصوته لا يُعلى عليه وإن تكاثرت المراكز التي تظنّ أنَّها تمثّل صوتا مسموعا، فيكون الطرح الدّيني منتميا إلى تفريعات عدّة أهمها:

الجانب الدّنيوي:

يمثّل الجانب الدّيني حالة مهمة؛ لأنّه ينظّم حياة النَّاس ويمنحهم ترابطات متنوّعة تكون سببا في كثير من التنظيمات التي تمنحهم أبعادا واضحة في الحياة، والنَّاس يتوسّلون بالجانب الدّيني من أجل أن يكون حصنهم المنيع في هذه الدّنيا، ذلك أنَّ الحقوق والواجبات والمسؤوليات لا تصل إلى درجة التحقيق إلّا من خلال الدّين؛ لأنَّ بقاء الأمور وفق اجتهادات وآراء خاصّة تثير الفوضى، ويخلط الحابل بالنابل، وتسير الأمور في متاهات لا يُعرف لها بداية أو نهاية.

هذا الجانب تكمن فيه الحلول الدّنيوية، لكن هذه الحلول هي غير منقطعة عن الآخرة؛ فهي تمثّل امتدادا لها؛ ولهذا سنجد في الجانب الآخر في المرحلة الثانية التي لا تنفكّ عن الجانب الدّنيوي ما يوازي هذه الحلول بدافع الخوف من الآخرة.

الجانب الأخروي:

يمثّل الجانب الأخروي امتدادا للجانب الدّنيوي؛ لأنّ كلّ الأوامر والنواهي التي كانت مفروضة في الدّنيا، كانت تتضمّن ما تكون عليه النهاية

حين يكون الخروج عنها حاصلا، فالدّعوة إلى الصدق مثلا، لا ترتبط بالدّنيا فقط، بل إنَّ نتائجها تكون في الدّنيا والآخرة، ففي الدّنيا يكون الصّدق معيارا لتوجيه النَّاس نحو ما يحقّق لهم السّلامة والآمان، ويكفل لهم البقاء عند الحدود الصحيحة التي تكون من ورائها النّجاة، أمّا الكذب والافتراء فلا يكون مصيره إلّا الخذلان في الدّنيا والآخرة؛ فيكون استنهاض هذه المعايير مثلا باعثا إلى إيجاد حالة من التصحيح تكون نتائجها في الدنيا والآخرة، هذه الاستمرارية الحاصلة في استنهاض الخوف من قِبل هذه المنابر لا تنقطع أبدا حتى تصل الحياة الدنيا إلى نهايتها؛ وذلك لأنّ النَّاس أخطاؤهم لا تنقطع، فيكون الارتباط حاصلا ضمن هذه التناوبية المستمرة.

لذا؛ نجد أنَّ التفاف النَّاس حول المراكز الدّينية فيه رؤية مستقبلية يرونها دائما في عقولهم وعواطفهم، فيلتفّون حولها من أجل إظهار التعلُّق الذي يمنحهم ترابطا قويا، يمثّل لهم دفعة تجديدية في مواصلة مشوارهم وهم يتحدون الصِّعاب، فالنَّاس يبحثون عن أسس تضفي عليهم امتدادا جديدا يسمح لهم بتملّك أمل جديد يكون من ورائه استمرارية تدفّقية تصل بهم إلى نهاية معاكسة لأفعالهم الخارجة عن كلّ الدّوائر الإيمانية، والتقاطع في هذه المراحل غير وارد، كونه يشير إلى توقّف غير مرغوب فيه أو غير مطلوب حقيقة؛ لأنّ التوقّف يجعل من هذه المراحل آنيّة وهذا مخالف للبداية المرادة وحتى للنهاية؛ لأنّ كلّ الأسس في البداية مبنيّة على وجود مغايرات متحقّقة، وتحقّق هذه المغايرات يحتّم على هذه المنابر البحث المستمر عن استنهاض واعٍ يمتلك كلّ الأدوات التي يكون من شأنها أن تصنع المستقبل المطلوب؛ ولهذا نحن نجد أنَّ هذه المنابر بتنوّعِها لم تكن في يوم من الأيام بعيدة عن السّاحة الإنسانية في كلِّ تفاصيلها، ومع ذلك إنّ هذه المنابر الدينية وما يجري فيها من خطابات هي في حاجة للمراجعة بغاية ضبط الخطاب

وتوجيهه إلى تحدّي كلّ ما يؤدّي بالنّاس إلى التفكك والصدام والخصام والفرقة، وفي المقابل توجيهه إلى ما يؤدّي إلى استنهاض الخوف بغاية تحدّي الصِّعاب.

ولهذا؛ فصناعة المستقبل تمثّل حالة تتويجية لاستنهاض الخوف، هذه الصّناعة تستند إلى مجموعة من الافتراضات التي تسهم بشكل أو بآخر في وجودها، لكن هذه الافتراضات ليست بمجملها منتمية إلى فضاءات غير حقيقية، بل إنَّ الكثير منها ينتمي إلى الواقع المعاش الذي يكوّن لها أحد السُّبل في صناعة المستقبل، ولعلّ التكرار الحاصل في النّسق الإنساني يشير إلى هذه السُّبل التي تكون كفيلة في إيجاد ما يحقّق الصّناعة المطلوبة، فالتكرار الحاصل يشير إلى أنَّ الحياة فيها من المتماثل ما يستمر وبدون إزاحات داخلية أو خارجية، ومنها ما يظهر فيكون باعثا إلى إيجاد ما يمنحه مكانة في هذا العالم الكبير[6].

إنَّ استمرارية استنهاض الخوف من أجل صناعة المستقبل تمرّ بتعاقبات متباينة؛ فتثير ما يمكن إثارته في سبيل خلق ديمومة لهذا الاستنهاض، ذلك أنَّ الاستمرارية التي نقصدها، هي استمرارية تتابعية، لا تنفكّ أبدا عن المتابعة بكلِّ أشكالها، وذلك في سبيل ألّا تصل نقطة الافتراق بعد ذلك إلى طريق مسدود، وهنا يكون الامتداد مطلوبا؛ لأنّ السّعة المعرفية تحتاج إلى أمكنة مختلفة يكون فيها الظهور أحد الأسس المطلوبة.

إنَّ استنهاض الخوف يمثّل رسالة واضحة المعالم للنّاس جميعا؛ ذلك أنَّ حصول استنهاض الخوف يجعل إحساس النَّاس بالمخاطر عاليا، وهنا لفظة (عاليا) توحي بتدفّق الكثير من الصّفات التي يكون من ورائها حصول

[6] عقيل حسين عقيل، صنع المستقبل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 140 . 156.

الاستنهاض تحدٍّ للصّعاب، فمن خلال ذلك يكون التحسُّب والحيطة والحذر وغير ذلك من الألفاظ التي تشير صراحة إلى تحقّق استنهاض الخوف.

يطرح هذا التعدد الصفاتي وجود استقبال حقيقي من النَّاس لهذا الاستنهاض، حتى إنَّ وسائل الاستنهاض المختلفة ظهرت وتظهر فعالياتها في هذا التحقّق، ممّا يعني وجود ارتباط حاصل بين هذه الامتدادات الاستنهاضية، فيتشكّل بعد ذلك مستقبل قائم على صناعة موافقة للاستنهاض الذي قام به الخوف، فتكتمل الدّائرة ضمن هذه التتابعية؛ ممّا يجعل الحضور الكلي موافقا للعملية الاستنهاضية كونها ملتّفة حول هدف واحد تسعى جميع الأطراف إلى تحقُّقه.

ومع أنّ الحياة تتشكّل من مجموعة من التناقضات التي يكون حضورها حاصلا، لكن ليس بكيفية طوعية من تلك الشدائد التي يتعرّض لها الإنسان، ما يجعل حصولها خارج الإرادة البشرية، وهنا تتعاظم الأمور وتصل في كثير من الأحيان إلى درجة الهلاك التي تكون من بعدها الأمور في غياهب لم تكن بالحسبان، فيكون دور الاستنهاض حاضرا في مجابهة هذه الشدائد، والنظرة إلى الشدائد ليس من باب كونها حاصلة في هذه الآنيّة، بل من باب أنَّ امتداداتها وتبعيتها المختلفة، ستكون في المستقبل حاضرة أيضا؛ ولهذا يكون استنهاض الخوف ملبّيا في كثير من الأحيان لهذه المعالجة المطلوبة كون وقوعها يشير إلى نهايات غير مطلوبة أبدا، فيكون استنهاض الخوف هو البداية المطلوبة التي يكون من بعدها إحداث النُّقلة تحدٍّ للصّعاب، فتمكّن هذه الصناعة من إيجاد حلول وبدائل لتلك الحلول، وهنا تكون الأمور في غاية الصّعوبة؛ لأنَّ وجود البدائل يعني أنَّ الحلول الموجودة والمقترحة غير كافية، وهذا يطرح وجود مفاجأة لم تكن بالحسبان.

إنّ الشّدائد التي يتعرَّض لها الإنسان تخرج في كثير من الأحيان عن طاقته الاستيعابية التي تكون من خلالها مواجهة ما يحصل، وهنا يكون الاستنهاض مبنيا على هذه الاستيعابية، فيؤسّس من خلالها لكلِّ المراحل المستقبلية التي يكون الحلّ بها، ولعل البدايات الأولى لهذا الاستنهاض تكون غير موفّقة؛ إذ يكتنفها تعثُّر واضح نتيجة حصول فهم خاطئ أو إدراك غير واعٍ، فتكون النتيجة موافقة لهذه البداية.

عليه: يجب أن تكون البداية متماشية مع المستقبل المراد في حركة أشبه ما تكون بالتحفيزية التي تفتح الطريق أمام كلّ ما يؤدّي إلى تحدّي الصِّعاب، فالتبعثر غير مطلوب؛ لأنّه يؤسّس لحلحلة غير موفّقة، فتكون النتائج المتوخاة ضعيفة، فتُسلب كلّ الحلول وحتى البدائل التي تظهر ممّا يطرح وجود خرق وراء كلّ ما يحصل.

وعليه: تمثّل صناعة المستقبل هاجسا للإنسان الواعي، فرؤيته للمستقبل تكون وفق دراسة علمية قائمة على استنتاجات وافتراضات تقوده تحدٍّ نحو البحث عن هذا المستقبل، إلّا أنّ الدّافع الرّئيس لهذا الهاجس المستمر هو وجود خوف دائم من كلّ ما يحيط به، وبخاصّة من المنافسين له في المجالات التي تُعد من مرتكزات الحياة المهمة، هذه المرتكزات بامتلاكها يستطيع الإنسان أن يكون من اللذين يمتلكون زمام قيادة هذا العالم، فالدّول المتقدّمة لديها من المرتكزات ما تَحقَّقَ قبل وقته نتيجة التفكير المسبق به وحتى تحقيقه، أمّا تفكيرهم في اليوم نفسه؛ فهو منصبّ على المستقبل وما يجب أن يكون وفق رؤيتهم له، وهذا الأمر يدعونا إلى إعادة النّظر من أجل البحث ومواصلة الوقوف في أماكن جديدة، نكون فيها عند مرحلة جديدة، نستطيع من خلالها المواصلة والدّيمومة وإن كان الحضور في كثير من الأحيان بعيدا عن الطموحات المرجوة.

إنَّ استنهاض الخوف يجعل تحدّي الصِّعاب متوافقا مع الماضي؛ لأنَّ الماضي هو المؤسّس للمستقبل، والمستقبل هو الحلّ لكلّ منغصات الماضي؛ لذا نجد أنَّ هذه العملية مرتبطة بعضها مع بعض في حالة مستمرّة، ممّا يطرح وجود ارتباط لابدّ من أن يكون دائما بالحسبان؛ لأنَّ التشكيل العام للحياة ينذر دائما بوجود هذا الارتباط، ممّا يكفل وجود نهاية ملبّية للبداية التي كانت سببا في صناعتها7.

تحدّي الصِّعاب رغبة وتطلُّع:

الرّغبة شعور يحرّك الكائن ويدفعه إلى اتجاه ما يحب، أو يأمل، أو يشبع حاجه، سواء أكان المستهدف في الماضي أم الحاضر أم المستقبل، ولكن عندما تلتصق الرّغبة بالتطلّع وتحدّي الصِّعاب فهي ستكون في اتجاه الموجب المفيد؛ ولذلك فتحدّي الصِّعاب يُمهّد لعملية التطلّع.

وعليه:

. أقدم على إزالة الصِّعاب التي تعيق طريقك وتحيطك من كلّ جانب.

. دعّم قيم التطلُّع.

. تعاون مع الآخرين وازداد علما وخبرة.

. ثق أنّك قوّة وتحدَّ الصِّعاب.

. اكسر حاجز الخوف.

. نوّع مهاراتك وتطلّع للجديد.

. استثمر إمكاناتك وسابق الزّمن.

[7] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، شركة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 67 . 80.

. نَمِّ قدراتك في دائرة المتوقّع.

. هيّئ استعداداتك لغير المتوقّع.

. اصنع مستقبلا وأحدث النُّقلة.

. اجعل لنفسك أملا واعمل على بلوغه ومن ثمّ نيله.

ولذلك فإن تَوفُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات التحصيل والإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام وتحدّي الصِّعاب،

وعليه يكمن في قيمة الرّغبة قيم أخرى، منها:

. الطموح.

. التطلُّع.

الإقدام.

التحدّي.

قوة الدّافعية.

الإنجاز.

التفوّق.

. النجاح.

ومن هنا وجب غرس الثّقة في أنفسنا إن أردنا تحدّيا يصنع لنا مستقبلا، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلا؛ ولهذا لا ينبغي أن نغفل عن الآتي:

. غرس الثّقة في نفوس أفراد المجتمع، بأنّهم قوّة ولهم ما يميّزهم من الخصوصية، وأنّه من الممكن أن يكونوا على أحسن حال إذا ما استثمروا إمكاناتهم وتحدوا الصّعاب.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعية الموجبة من أولويات الدور المهني للأخصائي الاجتماعي، وكذلك من قبل المسؤولين وواضعي الخطط وراسمي السياسات الوطنية.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج، والمشاركة في تنفيذها والقيام بها، يعيدهم إلى أداء الواجبات على المستوى المجتمعي.

. تنمية قدرات أفراد المجتمع وغرس الثقة بينهم حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعية وفقا للخطط والاستراتيجيات المرسومة.

. تهيئة الاستعدادات الاجتماعية لما يجب والتطلّع بها إلى ما يُحدث النُّقلة.

. غرس الثقة في المجتمع من خلال مؤسّساته العامِلة، ومن خلال الخطط والاستراتيجيات العامّة، دون الإغفال عن مشاورة أفراد المجتمع وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم وتوظيفهم يسهم في تحدّي الصِّعاب وتحقيق الارتقاء.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد أفراد المجتمع.

. تحفيز أفراد المجتمع على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّساتهم إلى الإقدام على ما يفيد وينفع العملاء والزبائن.

. استثمار الإمكانات البشرية والمادّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعية في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحها من البيئة الاجتماعية المحلية، واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. إزالة المخاوف من نفوس أفراد المجتمع وحثّهم على تحدّي الصِّعاب التي قد تواجههم وهم يقدمون على تنفيذ خططهم واستراتيجياتهم التي رسموها.

. الإصرار والتصميم الإرادي على صناعة المستقبل في الزّمن الحاضر.

. تأكيد أهمية المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء.

. إزالة المخاوف والظّنون التي قد تعلق بذهن الأفراد في أثناء جمع المعلومات، وتحليلها، أو في أثناء تشخيص الحالة وغرس الثقة فيهم ودفعهم إلى التفاعل الموجب الممكِّن من إيجاد الحلول وتعزيزها في أفعال سلوكية.

. دفع أفراد المجتمع وهيئاته ومؤسّساته إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويرها بما يفيد وينمي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لديهم.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق ممّا هو عليه ومن المستقبل الغامض من وجهة نظره.

. تمكّين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك.

ولهذا فالقاعدة هي:

. تنمية القدرات.

. تهيئة الاستعدادات.

. تدعيم الإمكانات.

والاستثناء هو:

. لا يولى اهتمامٌ بالقدرات.

. لا تُهيأ الاستعدادات.

. لا تُدعم الإمكانات.

ولذا؛ وجب غرس الثقة في نفوس العاملين في مؤسّسات المجتمع وهيئاته وجمعياته الأهلية والحكومية. وأن يولى اهتمامٌ بالقدرات والاستعدادات والإمكانات الفردية والجماعية والمجتمعية. ومساعدة الخبراء

وقيادات المجتمع على اكتشاف الموهوبين والمبدعين وتحفيزهم على الإبداع وعلى زيادة الإنتاج، وغرس روح المحبّة للدين والوطن والعلم والعمل مع استيعاب الآخر والتطلّع إليه.

وعليه فإنَّ تنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتدعيم الإمكانات يتطلب تخطيطا موضوعيا من قبل مؤسّسات المجتمع وهيئاته، وقبل أن تُرسم الخطط أو توضع الاستراتيجيات ينبغي للمخططين أن يتمكّنوا من معرفة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي القدرات وكيف تنمى، ومتى؟

- ما هي الاستعدادات، وكيف تُهيئ، ومتى؟

- ما هي الإمكانات، وكيف تُدّعم، ومتى؟

- من هم القادرون على تنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات، وتدعيم الإمكانات؟

- من هم المستهدفون بتنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتدعيم الإمكانات؟

- ما هي الأهداف التي من أجلها تنمى القدرات وتهيئ الاستعدادات وتدعم الإمكانات؟

في ضوء الحصول على إجابات لهذه الأسئلة يمكن رسم الخطط. وبدون تحديد إجابات واضحة ومحددة، وبدون حصر الإمكانات تظل الخطط على الورق فقط، ولن تدخل حيز التنفيذ المكلل بالنّجاح، وإذا حاول البعض بالطّرق والأساليب العشوائية فلا مفرَ لهم من الفشل المحقّق؛ ولذلك فمن يطلب منه أن يكون شريكا في رسم الخطط والاستراتيجيات

التي تُسهم في صناعة المستقبل أو إحداث النُّقلة، عليه أن يطرح هذه الأسئلة على المسؤولين وذوي الاهتمام حتى يتمكّن من المشاركة الفاعلة والناجحة مع الخبراء وقيادات المجتمع، وهيئات التخطيط العام في الدّولة ومؤسساته. ومن ثمّ ينبغي لنا مراعاة الآتي:

. أهداف واضحة المرامي.

. خطط وفقا للإمكانات المتاحة والإمكانات التي قد تتاح وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) لتفادي ما لم يكن في الحسبان.

. تهيئة الاستعدادات النفسية والبدنية والمالية لما هو متوقّع وغير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثقة في النفس حتى يتم التمكّن من تحدي الصِّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. تحديد الظروف البيئية المحيطة بالمؤسّسة أو الوحدة الإنتاجية أو التعليمية للوقوف على ما بها من فرص للعمل أو التعلم أو ممارسة المناشط، وما بها من عوائق قد تحول بين المنفذين للخطط والأهداف المرسومة للإنجاز؛ وذلك لأجل إزالتها من الطريق قبل البدء في تنفيذ الخطط.

. تحديد جدولة زمنية لممارسة أو تنفيذ أي نشاط موضوعي داخل المؤسّسة أو في محيطها البيئي.

. تحديد القوى الفاعلة والقوى المساعدة من البشر الذين يُعتقد أنّهم قادرون على العمل بلا تردّد وبلا مخاوف.

. تتبع مراحل تنفيذ الخطة أوّلا بأوّل.

. تقويم الجهود المبذولة في الفترات الزّمنية المحدّدة، وما تَحقّق من إنجاز جزئي.

وعليه:

نمِّ قدراتك.

افطن من غفلتك.

أدرك ذاتك.

اسبر أغوار نفسك.

اعرف أسباب ضعفك.

استمد معطيات قوّتك.

خذ بزمام أمرك.

اعترف بأخطائك وأقدم على تغييرها.

قرّر بعد معرفة كافية.

نفّذ بلا تردّد.

أصلح من حالك.

ثق في نفسك يثق الآخرون فيك.

سر بخطًى ثابتة صوب الأهداف.

تكلّم بصوت واضح مفهوم ومتّزن.

ثق أنّ قدراتك تمكّنك من أداء عمل أفضل.

حاول حلّ مشاكلك بنفسك، وتهيأ لمساعدة الآخرين.

شارك أفراد المجتمع نشاطاتهم.

ارسم خططا.

عدّ برنامجا لمستقبلك.

لا تقل نعم عندما تريد أن تقول لا.

ولأنّه كلّما توفّرت الحوافز المتنوّعة والمتعددة، زادت عمليات التفاعل والمشاركة الإيجابية بين أفراد المجتمع وجماعاته؛ لذا فإنّ تقوية الدّوافع تتطلّب حوافز متنوّعة ومتعددة، وتتطلب أساليب استيعابية ممتلئة بالذّوق الرّفيع والمرونة المتوازنة.

تحدّي الصِّعاب يحدث النُّقلة:

تحدّي الصّعاب يحقّق النُّقلة النّوعية، فهو الممكّن من تجاوز المستويات القيمية الثلاثة (الذاتية والانسحابية والأنانية) والامتداد إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسيّة وبالعلائق النفسية والذوقية والثقافية.

ولذا؛ فتحدّي الصّعاب بما يُبذل من جهد منتج، يؤدّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسية والرّضا النفسي ويغرس الثّقة التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب.

ولأنّ تحدّي الصِّعاب يمكّن من إحداث النُّقلة النوعيّة، فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية لمن يتحدّى الصِّعاب من أجل مأمول عظيم.

أمّا الذين يعانون من حالات انسحابية فأمرهم غير ذلك. فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمية التي هم عليها. ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحفِّزهم على تحدّي الصِّعاب ويحقّق لهم النُّقلة.

وعليه:

. كن إيجابيا؛ لتنال التقدير والاعتراف.

. كن متفهِّما؛ لتحدث النُّقلة.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. قدّر الآخرين تنال التقدير منهم.

. ثق أنّ الاعتراف يحقّق قيمة التقبل.

. ثق أنَّ الجحود مفسدة.

. ثق أنَّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

. شارك الغير تحدّي الصّعاب تتيسّر لك الأمور حتى ترى غايتك بين يديك.

وعليه: فمن أجل تحدّي الصّعاب ينبغي لنا عدم الإغفال عن:

. تفعيل منطق النّحن بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد والذين يشتركون في رسم الخطط والاستراتيجيات لمجتمعاتهم.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنّهم مفردات أساسية في الدّولة ولهم حقوق يجب أن تمارس وواجبات ينبغي لها أن تؤدّى، ومسؤوليات ينبغي لها أن تحمل، حتى يصبح منطق الجميع نحن معًا.

. التركيز على القيم الاجتماعية التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهمية هذه القيم الاستيعابية، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها، فهذا الأمر يجعلهم في الاحتضان الاجتماعي الذي يمدهم بالدفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم بعضا، وتقبلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيمية ذات أبعاد إنسانية.

. وضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعية والإنسانية بين العاملين والمتعلمين وأفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وأصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعددة؛ ذلك لأنّ الرّب واحد ولا شريك له.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابية التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعية.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطية بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيمية أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافية واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسؤولياتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمرية للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعية أو في القرية الصغيرة، حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية أم علائق جيرة أم عمل أم سياسة داخلية أ خارجية أم أمر سلم أم حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعية.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعية إلى أهمية الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (إنَّهم لن يكونوا قادرين).

. التأكيد على أهمية ممارسة الديمقراطية بشفافية، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصِّعاب وصُنع المستقبل المأمول.

. التأكيد على أهمية الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التَّمسُّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهمية كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة إلى الآخر وحاجته إليه.

. التخطيط لكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسؤوليات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيات؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلمية والسياسية والاقتصادية؛ للتعرف على المتغيرات المستحدثة التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعية والاستفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الاستراتيجيات التي تحقق النُّقلة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّولية؛ تحقيقا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع.

. ترسيخ لغة ومفهوم (نحن) حتى لا تسري الشخصانية والأنانية في سلوك بني الوطن وأفعالهم؛ لأنَّ كلمتا أنا وأنت تسمح بمسافة امتداد فراغي؛ لتجذب مشاعر الخوف إليها، فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع الأنت لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثقة التي ينبغي لها أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة: (إنا الفرد ينبغي لي أن أسود بكرامتي، وأنا الحرية ينبغي لي أن أعم النَّاس، وأنا الشفافية ينبغي لي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي لأحد أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِمت به الآدمية. وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النَّاس كلّ النَّاس الذين لهم حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لابدّ أن أُقال. وأنت الباطل لابد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل،

وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ ونحن معًا نحن).

من هنا تتضح قيم (النّحن) الاستيعابية، التي تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافية تُعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسما مشتركا.

ولأنّ التمسّك بالمنطق تمسّك بالقواسم المشتركة. إذن: (التمسّك بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا، ينبغي لنا العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهمية التمسّك بالقواسم المشتركة حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء.

ولهذا يفضّل أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمرارية علائقية.

. الشفافية وضوح في القول والفعل.

. تفهم الظّروف اعتبار ذاتي.

. التعامل بالقيم الحميدة تنمية أخلاق.

وعليه: فإنَّ تفعيل العلائق الاجتماعية والإنسانية يؤدّي إلى تحدّي الصّعاب، أمّا إهمالها فيؤدي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدّي إلّا إلى الخسارة والانهزام.

تحدّي الصّعاب يمكّن من معرفة المجهول:

المجهول هو ما لم يكتشف بعد، أو لم يتمّ التعرّف عليه بالرّغم من وجوده، أي: كلّ ما تمّ التعرف عليه، كان مجهولا؛ ولهذا فلو لم يكن المجهول موجودا ما كانت الإمكانية متاحة لمعرفته.

فالمجهول هو ما لم يكن معلوما بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السّابقة، فينبغي للبحّاث إنْ أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات، فالتساؤلات تقود

إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ؛ فالبحّاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلمية لنا لن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل يتمكّنوا فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم، فالفروض وأن عظمت نتائجها لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

أمّا التساؤلات فهي أسلوب بحثي معمّق يمكّن أصحابه من معرفة الجديد المجهول، {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}[8] فقوله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ!) هو تساؤل، ولم يكن سؤالا، ولم يكن استفسارا؛ ذلك لأنّ السّؤال دائما يلاحق إجابة سابقة عليه، بهدف إعادتها ثانية أو أكثر من ذلك، وكذلك الاستفسار لا يكون إلّا عابرا ومن العموم، أمّا التساؤل فهو يستوجب بحثا علميّا وتقصٍّ دقيقٍ من أجل معرفة المجهول.

ولأنّ المشركين يتساءلون عن المجهول؛ فكانت المعلومة من العليم، أنّ ما تختلفون فيه، هو: النبأ العظيم الذي يتنزّل تنزيلا، أي: إنّ المشركين كانوا يعتقدوا أنّ ما جاء به محمّد عليه الصّلاة والسّلام لا يمكن أن يكون منه، وهنا كانت علامات الاستغراب تدور في أنفسهم كما تدور بينهم، وهم يتساءلون؛ فأنزل الله المعلومة حُجّة: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)، وستكون الشواهد على ذلك متوالية، وسيعلم الكفار بذلك شواهد دالة على أنّه الحقّ المنزّل، (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ). أي: إنّ المعجز إن تمّ الاستفسار عنه فلا يبلغ إلّا تنزيلا، أمّا الممكن فلا يبلغ إلّا بحثا معمّقا.

---

[8] النبأ 1 . 5.

ومن منطلق تحدّي الصِّعاب يجب تقدير الشّطحات العلمية؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعية تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفية التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي للإنسان أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ولذلك؛ فالتّطلُّع وتحدّي الصِّعاب يُمكّنان من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنان من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ، إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة فلا ينبغي لنا أن نضع إشارة قفّ أمام التفكير العلمي لبني آدم، بل ينبغي لنا أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلا، ولذا؛ فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ؛ وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك إنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة حيث كلّ شيء ممكن حتى وإن كان صعب وغير متوقّع.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني والذوقي.

ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان مطلبا ورغبة واختيارا، ولذلك؛ ينبغي لبني آدم أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى تحدّي الصِّعاب وإحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

. التعرّف على المجهول يزيد المؤمن ثقة وإيمانا بأنّه لم يؤت من العلم إلّا قليلا.

. البحث عن المجهول يفتح آفاقا واسعة أمام المعارف الإنسانية وينمّي الذاكرة ويحفّزها على المزيد.

. الانطلاق من المعلوم بحثا علميا يمكّن البحاث من إضافة ما كان مجهولا بالنّسبة إليهم.

. التعرّف على المجهول ليس بتعرّف على مفقود، بل هو التعرّف على الممكن الذي لم يسبق وجوده معرفة من قبل.

. التعرّف على المجهول ممكنٌ؛ فاسع حتى يصبح على يديك إضافة جديدة.

. البحث العلمي يكتشف المجهول ويضيفه إلى المعرفة جديدا؛ فابحث حتى تكتشف المجهول.

. التعرّف على المجهول يستوجب صياغة تساؤلات فعليك بها صياغة.

. الشّطحات العلمية تؤدّي إلى الاكتشاف العلمي فلا تُقولب عقلك وفكّرك ولا تقبل بوضع إشارة قف أمامك في أثناء قيامك بالبحث العلمي.

. فكّر فيما هو غير متاح حتى يصبح معلوما.

. ثق أنّ وراء كلّ مجهول كمّ كبير من المجهولات؛ فلا تقنط.

تحدّي الصِّعاب يمكّن من بلوغ الخوارق:

تحدّي الصّعاب بحثٌ علميٌ غير مقولبٍ يتجاوز بالباحثين معرفة ما آلفته طرق البحث العلمي التي تصوغ فروضا يكون جزءٌ من المعلومة متوّفرا فيها وجزءٌ منها مجهولا، أمّا بلوغ الخوارق فهو تجاوز للمقولب بتساؤل: لِمَ لا يكون المتوافر بعكس ما هو عليه؟ كما تساءل نيوتن: لم لا تصعد التفاحة إلى أعلى بدلا من سقوطها إلى أسفل؟ وبدأ في بحثه وتجاربه حتى اكتشف قانون الجاذبية إضافة جديدة تامّة كونها لم تستمد من نصف المعلومة المجهول، بل اكتشفت معلومة جديدة فكانت إضافة تامّة للعلوم والمعارف الإنسانية.

إذن: الخوارق بها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدّي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذهنية ذات الرؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها وعلى الكيفية التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا.

ولهذا؛ فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقا (تجاوز للمألوف) وأظهر ما كان مجهولا أو مختفيا لحيّز المشاهدة والملاحظة فقد أضاف جديدا لميادين المعرفة الواسعة. فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق. وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجئات التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع؛ لأنّها تأتي عن غير قاعدة، وعن غير معتاد ولا مألوف ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمّا الصُّنع فهو إظهار ما لم يكن ظاهرا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودا، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره إبداعا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصُّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ الأتيان به، وهو نتاج التفكير المفتوح حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه؛ أمّا الخارقة فهي بلوغ ما لم يكن متوقّعا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي: لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولكنّها غير عامّة فهي تحتاج إلى مقدرة عقلية تتجاوز بصاحبها ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه كونه لم يكن مستحيلا ولا معجزا. والخارقة تقود أصحابها فكرا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربا.

ومن ثمّ؛ فالفكرة تحدٍّ تقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل بالرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة، فالهبوط على القمر، البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه؛ لكونه أصبح حقيقة لا تُخفى.

ومن ثمّ؛ فالصّعود إلى القمر يعد عملا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا استغراب، ولا مفاجأة، بل الاستغراب ألا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة الممكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق.

وهنا، أقول:

الجنّة بين أيديكم فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها، فبلوغ الجنّة غير مستحيل، بل المستحيل ألَّا تعملوا ارتقاء من أجل بلوغها.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا حتى نتمكّن من بلوغِ الخوارق ارتقاء؟ ومن يرى غير ذلك فكأنّه لم يُخلق بصيرا، وليس له من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاء؛ فمن يغفل عن ذلك فكأنّه قد غفل عمّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات، فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النَّاس، وبما غفلت عنه، ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط المِمكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه:

فالإنسان مؤهّل للارتقاء عقلا وحسّا، فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلا راقيا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ومن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائل، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي له أن يكون عليه ارتقاء.

فالارتقاء حركة دؤوبة، يتحقّق عبر التّاريخ بالجهد الرّصين والعمل المتّصل، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد؛ فالارتقاء لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد، يولد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكسب قوّة تدفعه إلى تحقيق ما هو أعظم، وهو كالبناء بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحا شامخا وكأنّه يريد أن يفتق

الأرض بالسّماء ثانية، فهكذا هو الارتقاء تطلّعا يجسّد الطّموح، ويمكّن من بناء حضارات أهلها يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخا متكئا على الارتقاء علما وفكرا وقيما وفنا وثقافة وإعمارا وبناء.

ولأنّ التاريخ البشري مليء بالتّجارب النَّاجحة، وكذلك الفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى، ففي تلك الأحقاب سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة، فهي بالرّغم من تنوّعها، فإنّها حضارة أمّة واحدة، إنّها تقدّر الخصوصيّة، وتُمكّن من الاندماج علما ومعرفة، وتقنية وإعمارا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤولياته وبكلّ شفافية.

ومع ذلك فالإنسان دائما في حاجة للارتقاء؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنا، وأكثر نعيما، وأكثر عدلا، وأكثر رفاهية ورقيّا، فقيمة الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، تستوجب تقديرا عاليا، ورعاية صحية متقدّمة، وتعليما يخلّص من أيّ تأزمات تحدث، ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّية دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد الآخرين بكلّ حرّية.

ولكن هذه لن تتحقّق ما لم يرتقِ الإنسان عن مثيرات الشّهوة، وإغواءات النّفس، ومغريات الحياة الدّنيا (السُفلية)، وتفضيلات الأنا على حساب الغير، وألا يتردّد، والخوف ضرورة من أجل مستقبل ناهض وسلامة وأمن يمكّننا من بلوغ الخوارق تحدٍ للحاضر بما هو أكثر جودة.

ولذلك؛ فالاختلاف لن ينقطع بين النَّاس بما أنّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، ومن يراها لا تزيد عن كونها قيودا ينبغي لها أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود

الاختلاف، فلا وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلّ الصِّعاب.

ومن ثمّ؛ فالرّغبة في بعض الأحيان تتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانية القاتلة؛ فعلينا بتضافر الجهود والنّهوض معًا حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّما ونهضة من بعدها نهوض مع أملٍ ناهض.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف فينبغي لنا بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من حيث هو)، من أجل الارتقاء معًا إلى مستقبل مأمول، فالفرد وإن خُلق فردا فهو لم يُخلق وحيدا، ولهذا، لا ينبغي أن يفكّر وحيدا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدا، بل ينبغي أن يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاء بغاية ما يجب.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة قراره بقوّة اتخاذه، فقوّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد، وما يترتّب عليه من ارتقاء مأمول، وما يحدثه من مفاجآت موجبة، ومن ثم؛ فاتخاذ القرار ارتقاء يُمكِّن من إحداث النُّقلة.

ولأن صُنع الخوارق لم يكن مستحيلا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍّ للعقل بملكاته العقلية؟ فالعقل دائما هو مَكمن الخوارق، فمن بلغ عقله عقلا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازا، ومن بقي في دائرة المتوقّع فلا إمكانية لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن.

ولكن لكي تصنع الخوارق فهي في حاجة لمناخ مناسب حيث لا قيود على التفكير الإنساني ولا موانع ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات

مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريات العلمية، وأنّ المقرّرات المدرسية والجامعية معدّة على قاعدة كلّ شيء ممكن ولا استغراب، ثمّ أنّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصِّعاب. وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُّقلة وإيجاد ما لم يكن متوقعا.

وعليه:

. بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

. لا تستسلم للمتوقّع فقط وتغفل عن غير المتوقّع الذي يخرجك من زمن المفاجئات.

. لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف، فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيّة.

. لا خارقة إلّا بمقدرة عقلية، فانتبه لنفسك ولما حولك ولما يجب حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

. الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه، فانتبه واعلم أنَّ السّرحان مضيعة للوقت فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه ضياعا.

. اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليا، أي: إنّ الخوارق تكتشف أوّلا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

. معرفة الخوارق تمكّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

. معرفة الخوارق تحدٍّ للصّعب وقهره.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليما.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلا.

. صُنع الخوارق لا يكون إلّا تجاوزا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

. صُنع الخوارق يظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهرا أو موجودا معرفيا.

. صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

. يعد استخراج الشيء من الشيء على غير مألوف خارقة عقلية.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يعوّد نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرا حتى وإن كان نتاج وقته، وعليه بقبول الصِّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم[9].

تحدّي الصّعاب يُمكّن من بلوغ الغايات:

الغاية: هي ذلك الشيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملا وجهدا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصِّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنّها تُبلغ فإنّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفا مشاهدا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة

[9] عقيل حسين عقيل، صنع المستقبل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 85 . 118.

في العقول والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضامر وضمير، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لابدّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوّلا بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمّا أغراض الباحث وغايات فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرّا وجهرا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق، فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن، فلا تدرك إلّا من خارجها (من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق، قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}10 .

يفهم من هذه الآية: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع، فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو

[10] الذاريات 47.

الذي بيده نهاية الكون {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}[11] وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون بالرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، فإنَّهم يتفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائما تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبُّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ الشيء ليكون من بعد بلوغه قابلا لنيله أو قابلا للنيل منه أو الفوز به شيئا بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول، ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِلُ أصحابها عملًا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟ أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

[11] الأنبياء 104.

إذن: الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفية بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن ألمانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية). ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقا للجهد الموضوعي.

ولهذا؛ فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصّدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصِّعاب وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

ـ الغاية تُبلغ فلا تقنط.

ـ الغايات لا تبلغ إلّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها تيسيرا.

. الغاية مع أنّها في النفس وتحت سيطرة العقل، فإنَّ الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئا، بل الغاية بلوغ الشّيء؛ ليكون من بعد بلوغه عملا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرا.

. الغاية تُمكّن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته، فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

ومن ثمّ؛ فمن يرد أن يبلغ الغايات العظيمة فعليه أن يجعل غاياته درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأوّلى، ولذا؛ فلا ينبغي لأحد من بني آدم أن يغفل ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاء.

إذن: بلوغ الغايات يستوجب:

. تخمين مع حُسن تدبّر.

. وعي بالمأمول.

- إمكانية بلوغ المأمول.

- قبول تحدّي الصِّعاب.

- صبر لا إحباط من بعده.

- ثِقة لا شكّ يراودها.

- يقين لا حياد عنه.

- صمود، وإن كانت الصِّعاب تصاحبه مؤقّتا.

- ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها.

- عمل مؤسّس على التفهّم والتبيّن حيث لا غموض.

- اعمل وأنت تفكّر في كيفية توليد الغاية من الغاية.

ولذا؛ فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة فلابدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك: ينبغي للإنسان أن يكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي له أن يكون من وراء الغايات التي تمّ بلوغها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزلٍ عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة،

حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة وهنا يكمن الوهن والضعف، ولا تتحقّق الغايات التي بنى البعض عليها آماله وهمًا وتخيلًا.

ومن ثمّ، ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة قوّة ورفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا؛ فكلّما أُنجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية، فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا لأهداف تنجز رغبة، وأغراض تتحقّق عن إرادة، وغايات يتمّ بلوغها عن قوّة، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قوّة.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدّوافع، ومثيرة الحوافز النفسية والذهنية والعاطفية بقوّة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقّع

وغير المتوقّع. والإنسان بلا غايات هو بلا آمال، ومن ثمّ؛ فلن يكون في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُّقلة[12].

تحدّي الصّعاب يمكّن من نيل المأمول:

نيل المأمول لا يعد أمرًا هينًا، وهذا لا يعني أنّه خارقة، بل المأمول في معظمه عند العظماء عظيمًا؛ ولهذا لا يمكن بلوغه ونيله إلّا بتحدّي الصّعاب، فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية، وحرصا وعملا جادا. تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه، ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

المأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه القبول بتحدّي الصّعاب والإقدام على تحديها، ومن ثمّ ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد، وفي المقابل الانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرا فلا داعي للعمل، فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيات المؤدية إلى نيله.

ولأنّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

[12] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 105 . 113.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئا ملموسا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجا وافرا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد، فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصية لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني: فقدان العزيمة (تصميما وإصرارا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء. فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به، فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصِّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) لكنّه لا يكون إلّا خلقا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنّ يكون مولود الفكرة، فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدد ويتنوّع وفقا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقا للحاجة والشهوة وهو كثير، وقد يكون عامّا كونه مأمولا عظيما، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند الكثيرين، والمنافسة الحرّة وفقا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزا واحدا. ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدستور والبعض قد لا يحترمها، فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، لكنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم

تستوعب ما خلق مأوى ونعيما ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[13].

ولهذا فالجنّة مأمول ولم تكن أملا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّه لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضا عامّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرر كما أملوه مأمولا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيا والنوايا فردية، كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا تؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذه المثال؟

---

[13] الأنعام 135.

أقول: الأمل: تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادا وتأهبا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعد عملا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنة) حيث النعيم الدّائم. أي: إنّ المسلمين يميزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم. وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف. أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا فيها النعم تتحوّل فضلات. وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه: فإنّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه؛ ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيا أم مطلقا.

المأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابتٌ، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال، فساعة نيله وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقّعٍ بالرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

. لم يكن خيالا مجرّدا.

. نتاج العمل الجاد.

. يتم نيله والفوز به.

. يفتح آفاقا جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

. التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

. التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

. أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

. أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

. أن يحترموا حتى لا يصبح الاحترام جبنا.

. أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

. أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

. أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

. أن يحاججوا كي لا تتسع دوائر التُبَّع.

نيل المأمول:

الأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيله، والآمال هي المرجوة بلوغا ثم نيلا، سواء أكانت بحثا علميا أم عملا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علما أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافا وخلافا لن ينتهي بين البناة أملا، والهادمين

له انحدارا ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاء.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة حيث لا أمل، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الآمال مثل تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت

أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها؛ ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى وضوح الرّؤية.

. غموض الأمل لا يؤدّي إلى بلوغ المرضي.

. تحديد الأمل يمكّن من التدبّر.

. ولّد في نفسك وعقلك أملا من ورائه مأمولات.

. تبيّن أملك قبل الإقدام على العمل.

. ثق أنّ الآمال تُنال؛ فلا تتأخّر عن العمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم، وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من صنع الأمل والمشاركة في العمل المنتج، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، وتحقيق الأغراض الرّفيعة، وبلوغ الغايات العظيمة، ونيل المأمولات قمّة.

ولهذا؛ فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيات على أي مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصادية والمعرفية ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهداف قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه أو رؤيته أو سياسته فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهمية المأمولة.

وعليه:

ـ الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى، فهي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

ـ الآمال العريضة لا تصنع إلّا من قِبل الجادّين.

ـ الآمال لا يقودها إلّا آمل وإن استعان بمن استعان.

ـ الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

ـ الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

ـ يعد تحديد الآمال خرقا لما كان يظن أنّه صعب المنال.

ـ يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقا جديدة لتوليد آمال جدية لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ في البداية تكون الصّعوبة، فإنَّ في النّهاية لا تعد استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عملية التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ والآمال تُنال.

ولأجل ذلك: ينبغي لنا أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، والأغراض وتحقيقها، والغايات وبلوغها، والمأمولات ونيها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوّلا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها، ولهذا؛ فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ومن ورائها مأمولات أعظم، ولهذا، لا ينبغي لأهداف الآمل أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها ما يحقق الرفعة (نيل المأمول ارتقاء).

ولهذا؛ فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّ ما نال بنو آدم مأمولا ينبغي لهم أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهمية، ووراء كلّ مأمول غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية مأمولة.

وفي دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يصنع له أملا، ولكنّه لا يعمل على نيله وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له أملا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا؛ فالآمال ارتقاء: ينبغي لها أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن: ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

. من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. توليد الآمال يولّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

. لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول؛ ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمولا يفتح آفاقا أمام مأمول أعظم.

. تصنع الآمال وفقا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛ فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا؛ فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا

غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا لآمال يتم نيلها، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين أملا وارتقاء.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة، ونيل المأمول رفعة فلابدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه رفعة.

فالارتقاء معمار ينبغي له أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من ورائه آمال، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّمه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا والهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم آمالا قابلة لأن تنال[14].

التأهّب تحدّي صِعاب:

التأهُّب مرحلة قيمية متجاوزة لمرحلة التهيؤ وإعداد العُدّة والاستعداد، أي: إنَّها المترتبة عليها جميعا فلو لم تسبقها إنجازا وتحقّقًا ما

[14] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 152 ـ 160.

كانت؛ ولذا فالتأهّب قيمة تلفت الانتباه الفكري والعقلي لِما هو آتٍ أو متطلّع له بهدف تحسين الأحوال أو إحداث النُّقلة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى، وإذا لم يتأهّب الإنسان لصناعة مستقبله فلا يمكنه صناعته، ومن يتطلّع تأهّبا لما هو مأمول ويسعى إليه عملا يبلغه غاية، وهنا يعد التأهّب التطلّعي مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي، فيها تمتدّ الذّات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيات التي تميّزه عن غيره، ممّا يجعل الذات في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحقق لها الفائدة والمنافع.

فالتطلُّعيّة تعد منطقة وسطا بين الذاتية والموضوعية، وهي مجال النشاط الفكري والسّلوكي المتميّز عن (الذاتية) والمتميّز عن (الموضوعية)، ولكنّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذاتية ومقومات الموضوعية، ممّا جعله قاطعا مستقلا بذاته في خماسي تحليل القيم15.

وعندما تقتصر رؤى الشّخصية على مكوِّنات الذّات القيميّة، توصف بالذّاتية، وعندما تستوعب تلك الرّؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي لها أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف الشخصية في هذه الحالة بأنّها منطقية أو تطلّعية، حيث تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقا لافتراضاتها المنطقية لِما هو متوقّع أو مفترض، وبالتالي تقبل تحدّي الصّعاب التي تقف في سبيلها.

والمحذور الذي قد يظهر في هذه الشخصية المتطلِّعة، هو ليس كلّ ما يمكن أن يتأهّب له تطلعا يكون بالتمام على الحقيقة المتوقّعة؛ ذلك لأنَّ المتوقّع المتطلّع إليه تأهّبا بالضرورة يحتاج إلى زمن ومبررات الإثبات أو النفي؛ ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا سلكتْ الشخصية أو فعلتْ أو

[15] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

حكمتْ وفقا لافتراضاتها فقد تفعل أو تسلك خطأ؛ ولذا فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ.

وعليه: فالإنسان المتطلّع تأهّبا للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي: إنَّه في حالة النُّقلة، من التمركز على الذّات والرّكون إليها إلى حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على ما يقصره دائما على تراثه القيمي، بل هو من يكون في حالة امتداد موجب مع الثقافات والأفكار الإنسانية الأخرى، وفي الوقت ذاته لا يُفرِّط في خصوصيّته الذاتية التي جعلت له تاريخا وفيه ما فيه من الكنوز المعرفية والقيمية، ومن هنا فالشخصيّة التطُّعية شخصية متأهبة ومتحدية لأمر الواقع عندما يكون ساكنا ولا فوائد.

وبعد أن كانت المغالبة في المستوى الذاتي للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، بدأت المشاعر والأحاسيس الذوقية بالخوف تتهذّب تدبرا وتطلّعا تجاه ما يُفيد عند الآخرين دون إقصاء لأحدٍ منهم، إنَّها الشخصيّة الاستيعابية المتأهبة لقبول الآخر أو مواجهته بأحكام ورأى منطقية.

إذن: التطلّعيّة تأهّبا هي الشخصية التوافقيّة، التي تستوعب قيم وفضائل (الذاتية) وتتفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة؛ وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ والعدل والواجب والمسؤولية على مستوى الذات ومستوى الآخر، وعندما تتأهّب الشخصية لتجسيد هذا المفهوم التطُّلعي توصف بأنّها متطلعة ومتأهبة ومتحدية للصِّعاب وحجّتها الفكرية المنطقيّة.

ولذا؛ فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجال جديد للعقل والنفس وتتأهّب منطقا بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التأهّب والتطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويّة والخصوصية، ويمتدّ من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه تحديا للرتابة المعتادة. وهذا لا يعني أنَّ كلّ تأهّب وكلّ ميل هو موجب، فعندما تتأهّب الشّخصية وتميل من حالة التمركز على الذات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوناتها القيمية تصبح الشخصية على حالة من الانسحابية، فتوصف في هذه الحالة بالشخصية الانسحابية التي تتخلى عمّا يجب الأخذ به، وهنا يصبح التحدّي سالبًا كون الشخصية أصبحت تتخلى عن بعض القيم الحميدة دون مبالاة، أي: أصبح التحدّي للقيم الحميدة تخليا عنها.

أمّا التطلع الموجب فهو الالتفات إلى ما يفيد علما ومعرفة ورؤية دون أن يكون على حساب قيم الذاتية، فتصبح التطلُّعية تأهّبا هي مرحلة من الوعي يُمكّن الذات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يجب.

ولأنَّ التطلّعية هي حالة تأهّب ووعي بالمحيط المعرفي والثقافي والحضاري، فهي تعد مرحلة نضج، به تتمكّن الشخصيّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذاتية) هي ما يدور من حوار بين الرغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليات في حدود الدّين والعرف والقيم السائدة، على مستوى المجتمع أو الدّولة، حيث ثبات الذّات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع، فإنّ التطلّعيّة هي درجة من الاعتراف بأنَّ

للآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، وحقوقا وواجبات ومسؤوليات ينبغي لها أن تُقدّر وتحترم، وإن لم تُقدَّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة، ولذا فمن غير المنطقي أن يتمَّ تجاوزها أو إغفالها، كي لا تُمسّ ولا تؤخذ بما هو على حسابها.

وللتمييز بين المستويات القيمية للشخصية المتأهّبة أقول:

1 . الأنانية: معيارها الشخصانية (أنا كلّ شيء).

2 . الانسحابية: معيارها نفعي انسحابي (أنا أوّلا، وإلّا..).

3 . الذاتية: معيارها العاطفة (نحن كلَّ شيء).

4 . التطلُّعيّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 . الموضوعية: معيارها العقل (نحن معا).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم، يتأهّب للتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعية التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعد ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النّظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعية، وتُعد معاييره إنسانية؛ ولذا عندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تتأهّب الشخصية وتميل إلى الموضوعية فتوصف بالتطلّعيّة، وعندما تتأهّب وتميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشخصية في حالة ميلان إلى الأنانية.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، فإنَّ الواقع قد يُثبت غير ذلك، حيث نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار

بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الأخر في حالة إيثار حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل؛ ولذا فالشخصيّة المؤثرة، هي الشخصية المنطقية التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابا مصداقا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}16.

وهنا فالشخصية المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظّرف الآني، بل تمتدّ منه تحدّيا لكل عوامل الشّد إلى ما هو مستقبلي، فتتأهّب للمغالبة وتميل إليها[17].

تحدّي الصِّعاب يرسّخ المكانة:

تحدّي الصِّعاب لا يكون إلّا بقبول دفع الثَّمن جهدًا وعطاءً وعملًا جادًّا ومنتجًا، ومن يقدم على ذلك ينال مكانة بين النّاس تقديرًا واحترامًا، والمكانة تبوء مقام على الرِّفعة المأمولة من أهل الدّراية والمعرفة، وهي ما يبلغ بالكلمة الحجّة والعمل المنتج والخُلق الرّفيع، وهي التي تنال التقدير والاعتبار من قِبل النَّاس، والنَّاس تأملها وتسعى إلى ترسيخها قيمة.

والمكانة لا تكون إلّا على الرِّفعة، ولا تترسّخ ارتقاء إلّا بها، ومن ثمّ؛ فمن أراد أن يكون له شأن فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائلَ، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائلا فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي له أن يكون عليه ارتقاء مأمولا.

[16] . سورة الحشر، الآية 9.

[17] عقيل حسين عقيل، الفاعلون من الإرادة إلى التأهب، مكتبة الخانجي، ص 262 . 267.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيما وفضائلَ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقّا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلَّمَ علَّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة بين النَّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو، وهنا بالتمام يكمن التحدّي الذي يجعل للإنسان مكانة مقدَّرةً بين النَّاس.

ولذلك؛ فالتمسّك بالقيم لكونها قيما لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولا وسلوكا، ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النشء تربية وتعلّما وتعليما حتّى يجسدوها سلوكا؛ كما جسدها أهل المكانة.

فأهل المكانة هم دائمًا في علوٍّ قيمي قولا وسلوكا، علوٍّ عن الرّذيلة وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ولأنَّ الكبرياء تعظيم شأن؛ فهو لا ينال إلّا بالتحدّي لكلِّ معيب بما هو محبّب ومفضّل، وفي المقابل من لا يكون على الكبرياء قيما وفضائل لا يكون إلّا في دونية وسُفلية؛ ولهذا فالبعض من أجل الكبرياء يتحدّى الصِّعاب وفي المقابل البعض يقدّم المزيد من التنازلات حتى يصبح خاضعا لأمرٍ واقع.

إذن: المكانة والكبرياء تعظيم شأن؛ فالكبرياء كونه قيمة حميدة لتعظيم الشأن فهو الذي به يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرّفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلّا في الأماكن الدّونية التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملا وسلوكا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير؛ ولهذا فالمكانة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل المكانة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر.

ولذا؛ فأهل المكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فأصحابها يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال الصّائبة، فالكبرياء تعالٍ عن كلّ ما يؤدّي إلى الفتنة، أو يسيء للنّاس، ممّا يجعل الكبرياء هو المحقّق لرفعة المكانة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأن بما اختار أن يكون عليه تحدٍّ وبذوقٍ رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار؛ فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلّا من له مكانة مقدّرة. أمّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة، فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النّظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أن للتكبّر صفتين:

الصفة الأولى: هي التكبُّر بالحقّ، عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في

الأرض بغير حقّ وإذا حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصفة الثانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومغالبته بالباطل، والمتكبّرون عن الحقّ همّ الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء همّ الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه: فإنَّ للتكبّر مبرراته؛ لكونه قيمة حميدة؛ ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فافسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قبلهم المتكبّرون بغير حقّ، ولكن دائما التَّاريخ يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسا حيّا.

ولذا؛ فالمفسدون همّ الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة فهم الذين يتكبَّرون بفعله، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[18]. إنَّ استكبار إبليس كان استكبارا عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبرا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعَبِّرُ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعة التي تؤمل من الخيّرين.

والمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِ فإن دعي لنقيصة تكبَّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر؛ ولذا فالتكبّر صفة محتملة للإيجاب

---

[18] البقرة، 34.

والسّلب، فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابية، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبية؛ ذلك لأنَّ الكبرياء لا يكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته، والذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانية؛ ولذا ينبغي للإنسان أن يتكبّر عن:

الجهل:

فالجهل أساس كلّ داء يصيب المجتمع الإنساني تخلّفًا؛ لأنَّ الجهل من شأنه أن يؤدّي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرّذيلة والمفاسد، والذين يتمسّكون بالجهل بأسبابه، فهم في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون.

ولأنَّ الصّراع من البدء الخلقي هو صراع بين جهل وعلم (شرّ وخير)؛ لذا فبالعلم تتحسّن الأحوال وبالجهل تسوء، ولأنَّها كذلك فالصّراع بين الخير والشرّ لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم؛ ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنّ استقرار أمن الوطن يكمُن في حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليّات يتمّ حملها، لن يناموا ساعة واحدة نوما هادئا وهنيئا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نوما آمنا هنيئا بمشاركة النَّاس فرحتهم بالممارسة الفعلية للحقوق والواجبات والمسؤوليّات مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمسائلة للجميع إذ لا قمّة سلطانية إلّا من الشّعب، ممّا جعل الحكّام في دول ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستورا، وهم بذلك يقبلون ولا يتجاوزون قرارات ودستور الشّعب قمّة؛ ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم.

الشهوات:

إنّها الشّهوات التي خلقها الله تعالى فينا، ولكنّ البعض لم يحسن فهمها، وتهذيبها وضبطها والسّيطرة عليها، ممّا جعلها هي المسيطرة والقائدة للباطل والمفساد، قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}[19]؛ فالشّهوات متوافرة في الحياة الدّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها، فمنهم من اشترى الحياة الدّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من خير عظيم وفوزٍ دائم، ولأنَّ الإنسان خلق ليكون إنسانا بحقّ في هذه الحياة الدّنيا، فلا ينبغي له أن يقصر شهواته على الدّار الآخرة كما لا يقصرها على الدّار الدّنيا؛ ذلك لأنَّ الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم؛ ليكون وارثا في الدّارين، ولهذا لا ينبغي للإنسان أن ينسى نصيبه من الدّنيا، ولكن لا ينبغي له أن يتجاوز الحدود القيمية والفضائلية التي أقرَّ لها الخالق حدودا، ليكون فائزا في الدّارين.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدّعايات الانتخابية في أوطان المتقدّمين علما وثقافة تُكشف الأوراق من قِبل الجميع حتّى لا يكون الرّئيس المنتخب متّهما بارتكاب المفاسد الأخلاقيّة والسياسية والاقتصادية؛ ولهذا يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، والأقدر والأكثر مقدرة، أمّا في بلدان الغير فغير ذلك، الحاكم يورّث حكمه أوّلا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلإخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتّى بلوغ القبيلة والعصبيّة.

إذن: عندما يقبل الإنسان أن تسيّره الرّغبة فبصيرته تعمى وتقوده نحو الانحطاط؛ لذلك لابدَّ للإنسان من الترفّع عن هذا الانقياد الأعمى

[19] آل عمران 14.

للشّهوات، ورفض سيطرتها عليه، وأن يتكبّر عن هذه المفاسد المدمّرة، فبتكبّره الإيجابي هذا سينال المنزلة الرّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام نفسه واحترام النَّاس من حوله، فالشهوات عندما تجعل الإنسان عبدا لها لا يملك لنفسه شيئا أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشّهوة ولو كانت مفاسد بيّنة[20].

ولأنَّ أمر المكانة متعلّق بالرّفعة وتحقيق الأمل فمن يبلغ المكانة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير، ومع ذلك وراء كلّ مكانة مكانة لآمال أرفع[21].

تحدّي الصِّعاب القيد يكسر:

القيد ما يعيق الحركة الحرَّة، ممّا يجعل المتحرِّك في حالة عدم توازن، وهنا لا أعني به قيد الحيوانات، بل أعني به قيد الحرّية، إنّه القيد الذي لا يكسر إلّا بالتحدّي، والقيد الذي ينبغي أن يتمّ تكسيره هو ذلك القيد الذي أنتجته المظالم والإقصاءات التي تحرم البعض من ممارسة حقوقهم بإرادة، وهو نتاج تلك الإجراءات التي تغيّب العدالة وتُقَوِّيض الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، وتُمكّن البعض من الهيمنة على ممارسة السّلطة واحتكار الثروة في مقابل حرمان البعض منها.

ولذا؛ فكلّ ما يُقيّد حرّية الإنسان يعد قيدا (فينبغي أن يُكسّر)، ومثل هذا القيد لا يكون إلّا بعلل أفعال المظالم وأعمالها، ومن ثمّ: يعد القيد استثناءا، في مقابل القاعدة التي لا ترى الإنسان إلّا حرّا. ولهذا؛ فكسر القيد يدعم القاعدة ويقوّض الاستثناء.

---

[20] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 . 66.

[21] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 131 . 138.

والقيد مع أنّه مولود الفكرة، فإنَّه لا يعد قيمة، بل الذي يعد قيمة ومنبعا لتحقيق الآمال هو كسر القيد؛ ومع ذلك لو لم تكن الفكرة ما كان القيد؛ فالإنسان عندما لم يستطع ضبط نفسه عن إرادة، فكّر حتى أوجد قيدا لضبطه، وبعد أن قُيّد به، بدأ يبحث تفكيرا في كيفية فكّه وبكلّ ما يتيسّر له من حيل، ومع ذلك بقيت حياته بين القيد وفكّه؛ ولذا فإذا أراد الإنسان الحرّيّة بلا قيود فعليه أن يقبل التنازل عن عقله كي يستطيع في دائرة الممكن أن يفعل ما يشاء متى ما يريد، ولكنّه نهاية سيعرف أنَّ للحرّية ثمنا، وهكذا إذا أرد الاثنين معا فعليه أن يقبل بحياة المساجين الأحرار التي يشار إليها بالقضية:

(كل أ ليست أ)

فنحن بني آدم لولا العقل وما نفكّر فيه ما عرفنا المرغوب والممنوع، ولا المحلّل والمجرّم، ولولا العقل والفكرة ما استعملنا كلمتي: (قف وسر)، ولا كلمتي: (لا، ونعم)، ومن ثمّ؛ فإن لم يقيّد الإنسان نفسه عقلا، سيجد نفسه مقيّدا من قِبل الغير، بفكرة القيد التي أنتجها عقله، ومع أنّ السّجن هو السّجن فإنَّ تدبّرا إن وَضع الإنسان نفسه في قيد عقله فهو على الأقل أصبح يمتلك الإرادة، ولكن إن وُضع القيد في يديه كرها؛ فهل يمكن له أن يكون على شيء من الإرادة؟

وإذا سلّمنا أنّ العقل الإنساني هو الذي يقيّد نفسه، ألا نسلّم بأنّه قادر على فكّ قيده عن نفسه ارتقاء؟

لا شكّ أنّه سيكون قادرا إذا قبل التوقّف عند حدوده، ولا يتمدّد على حساب حدود الغير، ولكن إن تمدّد؛ فسيجد نفسه سجين تلك الفكرة التي أنتجها قيدًا لا أملا.

ولمتسائل أن يتساءل:

هل الأبوة والأمومة قيدان أم أنّهما منبعا ولادة الإرادة الحرّة؟

الأبوّة والأمومة منبعا إشباع العاطفة، وهما المأمولان في الذّاكرة الإنسانية، وهما مكمن ولادة المحبّة، وهما الحضن الدّافئ للأبناء، وهما القيد الذي لا ينبغي كسره قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}[22].

ولهذا وجب طرح السؤال: هل (لا) تعد قيدًا أم أنّها مجرد أداة ناهية وغير ملزمة؟

أقول:

لقد ورد معنى (لا) في الآية السّابقة نهيا قاطعا: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا) أي: لا حرّية لك في أن تقول لوالديك (أفّ)، وهذا يعني أنّها قيد، وفوق ذلك فهي تعني: ليس لك إلّا القبول. وليس القبول فقط، بل يجب أن تقول لهما قولا كريما (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) بمعني: لا مجال للرّفض إلّا القبول، وفوق التقبّل أن تقول لهما: (قَوْلًا كَرِيمًا)، وفوق القول الكريم أن تخفض لهما جناح الذّل من الرّحمة: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)، وفوق ذلك أيضا أن تسأل الله أن يرحمهما: (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا).

إذن: تعد (لا) قيدا يستوجب الاحترام والتقدير بعد الأخذ بما نهت عنه، ومع ذلك لا يعد القبول مطلقا، وفقا لكلّ قاعدة استثناء، والاستثناء

[22] الإسراء 23، 24.

جاء في قوله: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}[23].

ولأنّ (لا) ناهية وقاطعة؛ فهي ناهية لما تنهى عنه استثناءا، وبمراجعة النهي السّابق نلاحظ أنّها تنهى عن معصية الوالدين، وتوجب طاعتهما، وفي هذه الآية نلاحظ أنّها تنهى عن طاعتهما في معصية أمر الله النافذ: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) ومع أنّه لا يجب طاعتهما في أمر المعصية، ولكن يجب مصاحبتهما في الدّنيا معروفا حتى وإن ارتكبا فعل المعصية: (وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا).

ومن ثمّ؛ فالتساؤل: هل (لا) تعد قيدا، أم أنّها مجرد أداة ناهية وغير ملزمة؟

أقول:

إنّ (لا) الملزمة غير ملزمة، أي: إنّ (لا) التي يكون أمر نهيها ملزما، فأمر نهيها لا يكون إلّا استثناءا، بمعنى: لو لاحظنا أمر الأبوة والأمومة للاحظنا أنّ القاعدة هي: طاعة الوالدين، والاستثناء هو عدم طاعتهما، ولأنّ لكلّ قاعدة ما شذ عنها، فمن لا يطيع والديه يعد قدّ خرج عن القواعد القيمية المقدّرة، وبالتّالي يجب أن ينهى عن الخروج عنها، إلّا استثناء بعلل المخالفات المنحرف أصحابها.

ولهذا؛ فدائما (لا) النّاهية لا تأتي إلّا استثناءا، ولأنّها لا تكون إلّا استثناءا فهي قيد لا يجوز إلّا استثناءا. ومن هنا، تعد (لا) قيدا لا يكون إلّا في وجوبه (وفقا للقاعدة)، وفي المقابل، من يستخدم (لا) في غير وجوبها،

[23] لقمان 15.

ينبغي أن تكسّر حتى لا تكون عائقا بين الإنسان وما يمكّنه من بلوغ الآمال التي تحقّق له الرّفعة والمكانة.

أمّا التساؤل: هل الدّين قيد أم أنّه منبع قيم ممارسة الحرّية؟

أقول:

الدّين هو المغذي للقلب (طمأنة وسكينة)، والمغذّي للرّوح (أخذا وتجنّبا ونهيا)، والمغذّي للذاكرة بما يجب أن تكون عليه (تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا)، وهو ما لم يخالف الطبيعة الخَلقيّة لبني الإنسان، من أجل تطابق العلاقة بين الأمل والدّوافع الممكّنة من بلوغه؛ ذلك لأنّ قواعد الدّين كلّ شيء مشاع لك أو لغيرك (للإنسان أو لغيره من المخلوقات الأخرى)؛ ولهذا فما يحرّم على الإنسان لا يحرّم على غيره من المخلوقات سواء المحللة له أو المحرّمة عليه، ولا قيود على المحلل، بل القيود على المحرّم والمجرّم، فآدم عليه السّلام وزوجه اللذان خلقا في الجنة، خُلق معهما كلّ شيء من أجلهما مشاعا، أي: كلّ شيء نافعٍ لهما لا قيود عليه، ولكن القيود النّاهية جاءت على كلّ ما يضر أو يترك ندما وألما، وهذا ما لم يعرفه آدم وزوجه {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}[24]، ومن هنا: جاءت الاستثناءات جنبا إلى جنب مع كلّ قاعدة.

وعليه: فإنّ المشاعية هي القاعدة، أمّا النهي فهو الاستثناء؛ ولذلك فالمؤمنون يأملون بلوغ مجمع النعيم المشاع (الجنة)، أمّا الاستثناء فلا يكون إلّا بعلل الشذوذ عن القاعدة.

ولأجل ترسيخ القيم الحميدة، والفضائل الخيّرة وتبيان ما يجب وما لا يجب جاءت القوانين؛ لتنظيم العلاقات، أقصد بالقوانين تلك القوانين

[24] البقرة 35.

المشاعة، التي ترسّخ الإنسان قيمة، حيث لا يُحرّم عليه شيء هو حقّ له، ولا ينهى عن أداء واجب ينبغي أن يؤدّيه، ولا عن مسؤولية تُحمل يجب أن يحملها ويتحمّل ما يترتّب على حملها من أعباء.

ومع أنّ الإنسان خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه لم يُخلق على الكمال، حيث لا كمال إلّا للخالق؛ ولهذا فمن يرى نفسه على الكمال فقد خرج عن القاعدة وأصبح استثناءا، وهنا يجب أن ينهى بأمرٍ وقانونٍ يجعله يتمددّ بحرّية إلى النهاية التي لا يكون فيها تمدّده على حساب تمدّد الآخرين.

والسؤال: هل القانون قيد أم أنّه نصوص لفكّها؟

أقول:

فلسفة القانون تمنح الإنسان فسحة التمدّد بحرّية حتى حدود الآخرين بلا تجاوز، أي: إنّ التمدّد هو المشاعية، وفي المقابل الانكماش أو التجاوز هو الاستثناء، بمعنى لا ينبغي لك أن تتمدّد إلّا في مجالك الواسع، ولا ينبغي لك أن تتمدد على حساب تمدد الغير؛ والهدف من ذلك هو: وجوب التمدّد وهذه قاعدة، أمّا الانكفاء فهو الاستثناء بعينه.

ولأنّ المجتمع البشري متضاعف الأعداد، ومتنوّع الرّغبات، وحاجاته متطوّرة وفي المقابل مشبعاتها بين كثرة وندرة وانعدام فهو بين هذا وذاك أصبح مضطرا لتنظيم علاقاته، وضبط أعماله وأفعاله وسلوكياته، وتنظيم حياته؛ ممّا دعاه إلى سنّ القوانين الضابطة لذلك، ولكن أيّة قوانين؟ هل هي فاتحة الآفاق لممارسة الحرّية، أم أنّها المقيّدة لمن يأمل ذلك؟

القانون وفقا للقاعدة الطبيعية لا تقييد فيه؛ ذلك لأنّه موجد التوازن والاعتدال؛ ولذا فمن لا يتوافق مع قوانين الخالق (القوانين الطبيعية) يجد نفسه منحرفا عن غير اعتدال، ثمّ منعوتا بالشّذوذ عمّا يجب من قبل المتوازنين

قانونا؛ ولهذا فالقوانين الطبيعية متلائمة مع طبيعة المخلوقات كونها خالقة التوازن والاعتدال، أمّا القوانين الوضعية فهي بين توافق عن إرادة وتكيف لا يكون إلّا بقبول تقديم المزيد من التنازلات.

ولذلك ووفقا للقانون الطبيعي فإنّ كلمة (قف) تعني الاعتراف بوجودك وتقديرك واعتبارك، ولكن إن لم تقف عند حدّك الذي هو حقّ لك فستواجهك الصّدمة التي قد لا تكون متوقّعة من قِبلك، وهنا تكمن علّة التمدّد على حساب تمدّد الآخرين، فكلمة (قف) تدلّ على الإنذار ليس إلّا، ممّا يجعل الوقوف هناك عند نقطتها بلا مظلمة.

ومن خلال معرفتنا العامّة يقال: إنّ الإنسان خطّاء، ولكن بالمعرفة العلمية من الذي سيخطئ؟ هل هو الإنسان العاقل، أم غير العاقل؟

أقول:

العاقل هو المعرّض للأخطاء، أمّا غير العاقل فخطؤه أمر طبيعي. وبما أنّ العاقل هو الذي يخطئ، إذن: الذي يفكّر قد لا يخطئ، بمعنى: لو فكّر العاقل في النتائج المترتّبة على الموضوع الذي يفكّر فيه، قد لا يخطئ، أمّا غير العاقل فهو (الحرّ) الذي لا يعرف الخطأ، وحتى إذا اتهم به نال البراءة من رؤوس العدالة.

ومن ثمّ متى ما انحرف العاقل عن قيد عقله تحرّر من اتجاهه، وإلّا هل هناك من يقول: نحن لم نخلق بعقل، ولم نسجن به؟

أقول:

نحن الذين خلقنا بعقل، ونحن الذين سجنّا به.

إذن: فالسّجن ليس الجدران والقضبان، بل العقل الذي يفكّر؛ ولهذا كلّ من لا يفكّر حرّ بطبعه.

والسؤال:

هل العقل قيد (سجن) في حدّ ذاته أم أنّ القيود خارجة عنه؟

إذا أجبنا بأنّ القيود خارجة عنه قد نسأل: لو كان الإنسان غير عاقل؛ فهل يمكن أن يفكّر في وضع قيود عليه؟ فإذا كانت الإجابة بلا، إذن الإنسان العاقل هو الذي قيّد نفسه. وهو الذي نقل لنا ما في ذهنه من موانع إلى صور وأشكال مادّية سُميت (السّجون) المحاطة بالجدران والقضبان الحديدية والحراس المزودين بالهراوات والأسلحة الحديثة.

ولأنّ الإنسان العاقل قد يتهرّب من ضميره كضابط عام وضع لنفسه قانونا لضبطه، وشرطيّا يقبض عليه متى ما خالف ذلك، وبعد تنفيذ القانون عليه، أحس الإنسان الذي أوجد القانون أنّه قد وضع على نفسه ضميرا ورقيبا خارجا عنه وقيدا عليه، فبدأ يفكّر في كيفية خداعه والتهرّب منه، ممّا جعل العلاقة بين الشّرطة والمواطن الذي تنازل عن ضميره علاقة عدم ثقة ومطاردة؛ ولهذا لم يؤت الإنسان من العلم إلّا قليلا، ولو أُوتى علما كثيرا لعرف أنَّ التنازل عن الضّمير هو تنازل عن العقل والحرّية؛ ولذلك لم يتطوّر إلّا بالقليل؛ فالإنسان الذي ولد كغيره من الكائنات الأخرى يصرخ متى يشاء ويصمت متى يشاء، ولد حرّا، ومع أنّه حرّ لكنّه لا يستشعر الحرّية، لكونه لم يدرك معناها بعد، حيث عدم نضج العقل الممكّن من معرفة الحرّية وكيفية ممارستها قانونا طبيعيًّا أو وضعيا.

وهكذا هي الحياة لا تكون إلّا على قوانين، ولأنّ الحياة مؤسّسة على القانون فلا يمكن أن يكون القانون قيدا إلّا إذا كان القانون استثناءا.

وبناء على ذلك؛ فللمتسائل أن يتساءل: هل الزّواج الطبيعي هو قيد أم أنّه دليل شاهد على المشاركة محبّة ومودة؟

أقول:

الزواج قيمة حميدة تحقّق الرّضا متى ما كان الزّواج غير متخالف مع قوانين الحياة الطبيعية، وفي المقابل يفقد الزّواج قيمته الحميدة إذا حاد عنها، وأصبح على حسابها استثناءا.

وعليه: فالتساؤلات التي تحمل في مضمونها قيدا لا تكون قيودا إلّا في حالات الاستثناء، وهنا لا تكمن العلّة في القوانين الطبيعية بل تكمن العلّة فيمن لا تكون اختياراته وفقا للقواعد الطبيعية التي تأسّست عليها طبيعة الخلائق. وهذه النتيجة تحتوي كلّ التساؤلات الآتية:

هل الدّين قيد على الحرّية، أم داعم لها؟

هل القانون قيد على حرّية العقل أم لا؟

هل الأمومة والأبوة والمجتمع قيود على حرّية العقل أم لا؟

هل كلمة لا قيد على الحرّية أم لا؟

هل السّجون قيد من أجل الحرّية أم قيد عليها؟

هل الحكومة قيد على المحكومين أم لا؟

وهل يمكن أن تتحقّق الحرّية إذا اعتبرنا هذه قيود؟

وبناء على هذه الأسئلة، أتساءل:

متى ستتحرّر عقول النّاس من التفكير فيما يُقلق وينتج ألما؟

لا إجابة إلّا بالعقل الذي يفكّر ويتذكّر ويميّز بين الحقّ والباطل الذي لولاه ما عرفنا المرغوب والممنوع، ولولاه ما استعملنا كلمتي (قف، وسر)، ولا كلمتي (لا، ونعم) فهذه الكلمات هي التي تنتج قولنا: (نعم) لما نريد، (ولا) لما لا نريد.

وعليه ينبغي للإنسان أن يكون في عقله لكي يكون حرّا، وإذا خرج منه سيوضع فيه من قبل الآخرين بالقوّة، وعليه أن يفكّر، ولكن إذا كان العقل سجنا فهل سيحقّق تطوّرا؟

السّجن منه الانفرادي والجماعي والاجتماعي؛ ولهذا في الدّول التي تهدف إلى التقدم لا يسجن المجتمع، بل يسجن الأفراد والجماعات الذين يحاولون إعاقة حركة المجتمع إلى التطوّر، أمّا في الدّول المتخلّفة فيسجن المجتمع بكامله تحت الأوامر والنواهي التي تعيق حركته إلى التطوّر، ممّا يجعل دور المدرَسة ليست مدرسة، ودور المدرس ليس بالمدرس، ودور الواعظ ليس بواعظ، وخطيب الجمعة ليس بالخطيب، وشيخ القبيلة ليس بشيخ، ورئيس الحكومة ليس بالرئيس.

ومن هنا، فالعقل الذي يحقّق التطوّر هو العقل العام، والعقل العام هو عقل المنافع الفردية والجماعية والمجتمعية، أمّا العقل الذي لا يفكّر في محيطه؛ فهو في دائرة الاستثناء؛ ولهذا لا يحقّق التطور.

وإذا عُدنا مرّة ثانية للإجابة عن السؤال السّابق كيف يكون العقل سجنا ويحقّق التطوّر؟

أقول:

إذا سلمنا أنّ العقل هو الذي قيّد نفسه، ألا نسلّم بأنّه قادر على فك قيده؟ وفي كلّ الأحوال إذا كانت الإجابة بنعم، هل يمكن أن يعيش

الإنسان الحرّية ويمارسها بكامل عقله وفي الوقت نفس يكون على الإرادة والأخلاق؟

في اعتقادنا الإنسان بطبعه يغضب ويطرب، ويقبل ويرفض، وله حدود وفسحة امتداد، ومع ذلك قد يصعب عليه الالتزام والتوقّف عند الحدود، ولأنّه من الصّعب الالتزام بها، إذن: فمن الصّعب ألا يسجن؛ ومن ثمّ يتأكد لنا بأنّ العقل سجن وعلينا احترامه لكيلا نسجن.

ومع ذلك لا يمكن أن يضع الإنسان القيد في عنقه بإرادة إلّا في حالتين: حالة الانتحار، وحالة فقدان العقل. وفي كلتا الحالتين هو في حاجة لمن يكسر القيد عنه حتى ولو كان بقيد آخر.

ولذلك ينبغي للقيود المكبّلة لممارسة الحرّية أن تكسر؛ كونها شذوذا عن القاعدة الخَلقيّة التي خُلق الإنسان عليها في أحسن تقويم. أي: ينبغي كسر القيد الذي وضعه الحاكم الظّالم في رقاب المحكومين؛ ولهذا فالمساءلة ضرورة موضوعية تعيد المنحرفين عن انحرافاتهم سواء أكانوا حكّاما أم محكومين، ولكن نلاحظ في الوقت الذي فيه يخضع طرف إلى هذا الإجراء من أجل ممارسة الديمقراطية في الوقت ذاته يخرج طرف آخر عن مراقبتها وهنا تكمن العلل.

والمعادلة التي قد تحتاج إلى ضبط وإلّا سيختل التنظيم الاجتماعي هي أنّ الشّعوب في زمن ما قبل العولمة كانت غير قادرة على السّيطرة على الحاكم، وبالتالي كان الترحيب حارا من قبل شعوب الدّول النامية بتنظيرات العولمة التي يعرفون أنّها سَتُمكِّنهم من كسر القيد بالقيد، أمّا في الزّمن الذي ستزدهر فيه العولمة ستكون المعضلة كيف يمكن للحاكم أن يضبط الشّعب من الانفلات بعد أن فُكت قيوده التي من الصّعب أن يقبل بالعودة إليها؛ ولذا قد تتدخل قوّة خارجية من جديد تحت مبررات من أجل ضبط النظام

واستقرار الأمن، وهذا ما سيكون متوقّعا إذا انتصر اليمين في أوروبا تمشيا مع انتصار الرّئيس الأمريكي دونالد ترامب، مع أنّ رأينا يتوقّع غير ذلك، أتوقّع أن يغيّر الرئيس ترامب آراءه، وأنَّ اليمين لن يتبوأ السلطان، وأنّ الأمر في أوطان العالم الثالث يحتاج إلى مزيدٍ من الوقت، مع إتاحة الفرصة للتقليل مما يؤلم، ولكن التقليل فقط.

إذن: إذا أريد للعولمة النجاح فينبغي لها أن تكون مؤسّسة على كفتي اعتدال الميزان، الحرّية الشّخصية وفقا للقيم الاجتماعية والإنسانية في مقابل حرّية السّوق؛ وإذا لم يؤخذ ذلك في الاعتبار، فإنّ نظام السّوق سيكون قيدا بالضّرورة؛ ولذا فإن لم يحسم هذا الأمر سيكون الصّدام بين من يحاول إملاء شروطه والرّافضين لها.

وبما أنّ الأمر لم يُحسم بعد فإنّ الحوار على العولمة هو اللغة السائدة اليوم، وهذا الحوار سيترتّب عليه صدام وصراع إن لم يتمّ الإجماع على القبول أو الرّفض أو الانتظار، ومن هذه الصراعات المحتملة.

. الصّراع بين المواطنين كأفراد عندما يحسّ كلّ منهم أنّ الآخر هو قيد على حرّية ممارسته للديمقراطية.

. الصّراع بين المواطن الفرد والحاكم عندما يشعر المواطن بأنّ الحاكم يُشكل قيدا عليه وعلى ممارسته الحرّية، أو عندما يشعر الحاكم أنّ المواطن غير مكتف بما أعطى له من هامش للامتداد.

. الصّراع بين المواطن الفرد وأداة الحكم، عندما يحس الموطن أنّ الأداة الحاكمة تحتكر السّلطة ولا تسمح له بأن يمارس حقّه مشاركة.

. صراع المواطن كفرد مع الدّستور والقوانين والنّظم عندما تصاغ بغير إرادة.

بناء على هذه النقاط المسببة للصّدام آجلا أم عاجلا جاءت تنظيرات العولمة لكسر قيودها، بهدف تحرير المواطن بناء على ضمانات حقوق الإنسان، فمن حقّ الإنسان أن يكون حرّا، ويمارس الدّيمقراطية بإرادة؛ ولذا يجب فكّ القيد عنه بإرادة، وإن لم يُفك بها يجب أن يُكسر بالقوّة. وكلمة يجب أن يُكسر بالقوّة تعني فيما تعني: وضع القيد في عنق من لا يودّ فكه بإرادة، ومن هنا تتولّد الصراعات التي منها:

ـ صراع الضّمير العام مع الأنا:

عندما تفلُت الأنا من ضوابط الذّات التي تشكّل قيدا عليها، يتدخل الضّمير العام كحكم بينهما بالنواهي والضوابط التي استمدّها من الفضائل الخيرة والقيم الحميدة. وهذه الضوابط بالنّسبة إلى الأنا تُعد هي الأخرى قيودا إن لم تفكّ فلابدّ أن يتمّ التحايل عليها وعدم الالتزام بها.

ـ صراع الضّمير العام مع الذّات الجماعية:

الذّات الضابطة للأنا في كثير من الأوقات هي في حالة صدام معها؛ ولأنّها ذات جماعية بشرية فهي الأخرى تحيد في بعض الأحيان عن ضوابط الضّمير العام، الذي تعده الذّات سندا لها عندما تكون في حالة صدام مع الأنا، وفي ذات الوقت تعده قيدا عليها عندما تحاول الانفلات والانحراف، وذلك بمتابعته لها في كلّ أمرٍ، فكلّما قرّرت الانفلات منه يحدث الصّدام معها.

وإذا تساءل البعض: متى يحدث الصّدام بين الضّمير العام للمجتمع وبين الضّمير العالمي (ضمير حقوق الإنسان والحيوان)؟

تجيب العولمة عن ذلك بالنقاط التالية:

أ ـ عندما لا يستوعب الأنا الآخر.

ب ـ عندما لا تمارس الدّيمقراطية بإرادة.

ج ـ عندما لا تفتح البلدان كميادين ليمارس السّوق نشاطه فيها بحرّية.

د ـ عندما لا تكون الأديان والأعراف قيودا على من لا يُشرِّعون بها.

هـ ـ عندما لا يتمّ الحفاظ على البيئة.

ع ـ عندما يحاول البعض صمّ آذانه عمّا تقوله المنظّمات الدّولية.

و ـ عندما يحاول البعض الامتناع عن ارتداء قميص القيد الذّهبي الذي فصّلته العولمة.

وعليه: سيكون التدخل مباحا ومتاحا متى ما يتراء للذّات العالمية أن تتدخل في الشؤون الدّاخلية للبلدان والدّول؛ ولهذا كسر القيد بالقيد لا فرق فيه بين أن يكون حديديا أو ذهبيا، إلا أنّ القيد الحديدي القديم الذي في كثير من الأحيان يتعرّض إلى الصّدأ سيتمّ استبداله بالقيد الذّهبي الجديد الذي لا يصدأ[25].

تحدّي الصِّعاب تجاوز الدُّونية:

الدّونية منزلة سُفلية لا تليق بأهل العلم ولا أهل المكانة والرّفعة، بل ولا تليق بمن خُلق في أحسن تقويم، ومن أراد أن تكون حياته على الخُلق الرّفيعة وعيا وتدبّرا فعليه بكلّ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة ارتقاء إلى ما هو مأمول، وفي مقابل ذلك إن لم يحسن الإنسان إدارة شؤونه فليس له إلّا الانحدار، فآدم عليه السلام الذي خُلق في العليّة عندما أخفق في إدارة نفسه

[25] المصدر السابق، ص 85.

انحدر إلى سُفلية غير متوقعة، وهناك في دائرة غير المتوقّع واجهته المفاجأة؛ بعد ما انحدر معصية مع انحدار شهوته ورغبته؛ التي جعلته على الهبوط إلى الحياة الدّنيا بعد أن كان في السّماء قمّة.

ولمتسائل أن يتساءل:

هل خُلق آدم على الارتقاء خلقا، أم أنّه جُعل عليه جعلا؟

أقول:

لو جُعل آدم على الارتقاء جعلا، لكان الارتقاء مستقلّا عنه وسابقا عليه؛ ولأنّه لا سابق على آدم ارتقاء فهو المخلوق عليه خلقا قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[26]، ولأنّه خُلق على الارتقاء خلقا، قال (في أحسن تقويم)، وفي المقابل لو كان آدم قد جُعل على الارتقاء جعلا لقال تعالى: (على أحسن تقويم) وهو المأمول غير المتحقّق في ذات آدم خلقا، وهذا ما يخالف دلالة الحُسن التي خُلق منها آدم خلقا.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه انحدر إرادة ومعصية، فكان في سُفلية ودونية أمام خالقه، {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[27]، ومع ذلك استغفر آدم ربَّه تحدٍّ لما أوقعه في ارتكاب الخطيئة فتاب الله عليه، ومن هنا، فتح الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[28].

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر

---

[26] التين 4.

[27] التين 5.

[28] التين 6.

الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعد هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أملَ آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنّ العمل ارتقاء يؤدّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدّي بهم إلى ما يُغرقهم فيه فهم بين هذا وذاك بين ارتقاء فيه العمل يُتقن، ودُونية بها يُهمل وينحرف إلى ما لا يجب؛ ولذلك كان الصّدق ارتقاء في مواجهة الكذب انحدارا، وكان العدل ارتقاء في مواجهة الظّلم انحدارا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحرّيّة في مواجهة الاستعباد، والدّيمقراطية في مواجهة الدّكتاتورية، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب تحدّي الصِّعاب بما يُمكّن من الارتقاء قمّة.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاء ودونية فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك؛ فالعمل الصّالح ارتقاء لا يكون إلّا عملا منتجا ومتقنا ومبدعا ومرسّخا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والرّغبة الفاسدة لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤولية ارتقاء ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُفلية والدّونية التي تتمركز على الأنا.

ولهذا؛ فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلا وعملا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلما وإهمالا وتشدّدا وتطرّفا، ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فمن شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاء وتحدّى الصِّعاب، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة ودونيّة.

وعليه:

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملا وعملا، فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه رغبة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاء.

فبنو آدم خُلقوا على الاختلاف وسيظلون به مختلفين، حتى أهل الوطن الواحد والدّين الواحد واللغة والثقافة الواحدة هم مختلفون قدرات ومواهب واستعدادات وميول واتجاهات، ولهذا؛ فهم مختلفون بصمة، ولا تناسخ بينهم فيما خلقوا عليه خلقا، ولكن بينهم تماثل فيما هم عليه من معرفة وعلم وحضارة واقتصاد وسياسة، وفنون وآداب، ومع ذلك؛ فالاختلاف بينهم لا يلغيه التماثل والتشابه، بل التماثل والتشابه بين بني آدم يؤكّد وجود الاختلاف بلا لبس ولا غموض.

ولأنّه الاختلاف؛ فهو المحفّز على البقاء تنوّعا، وهو المحفّز على التغيير الممكّن من التّعاون والنّهوض ارتقاء؛ فبنو آدم ارتقاء يعلمون أنّهم لم يجدوا أنفسهم خلقا، بل خَلقَهم من هو أعظم منهم، فهم يعلمون أنّهم قبل الخَلق لم يكونوا شيئا يُذكر، ثمّ أصبحوا شيئا مذكورا؛ فهم يعلمون أنّ مشيئة من ورائهم هي التي أرادت لهم خَلقا، ولهذا؛ فهم يدركون أنّهم قبل الخَلق لم يبلغوا مستوى الوجود الصّفري قيمة، ولكن مشيئة الخالق شاءت لهم أن

يكونوا شئيا فكانوا شيئا وفي أحسن تقويم، {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[29].

فبنو آدم لكونهم شيئا مذكورا يدركون مشيئة شاءت لهم أن يكونوا خَلقا وفقا لمشيئة هم لا يعلمونها؛ ذلك لأنّ المشيء وحده يعلم مشيئة خَلقه، أمّا المخلوق ارتقاء؛ فلا يدرك إلّا وجوده مخلوقا. ومع ذلك فهناك من يرى الوجود الكوني مخلوقا من غير خالق، وهنا تكمن العلّة المعرفية بين من يدرك أنّه لا مشيئة لمخلوق في خَلقه، ومن لا يدرك ذلك بقوله: إنّ الكون خلق نفسه ولا خالق من ورائه.

ولأنّ بني آدم بين الارتقاء والدّونية؛ فهم مختلفون رؤية ومعرفة وعلما، ولهذا؛ فهم بين معرفة وعلم يؤدّيان بهم إلى النّهوض قمّة، وجهل يؤدّي بهم إلى الانحدار والدّونية.

ولذلك؛ فالإنسان عندما ينهض يرتقي إلى ما يؤدّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما ينحدر يهوي سُفلية في القاع، أي: عندما يرتقي يجد نفسه وكأنّه يحتوي الإنسانية في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان، {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[30].

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونية إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرون قيما هم مثل الحيوان الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا؛ فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي،

---

[29] مريم 67.

[30] الأعراف 166.

الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه ومن هو في دونيّة، {وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}[31].

فالإنسان إن لم يُحسن الاختيار ولا أمل له، يجد نفسه في اتجاه السُفليّة والانحدار والدّونية، وإذا امتلك الإنسان الإرادة والأمل يصاحبه تحدٍّ للصِّعاب، تُفتح أمامه السُّبل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولهذا إن كانت الإرادة في حالة ضيق أو منعدمة؛ فلا يجد الأمل مجالا للامتداد فكرا ومعرفة، فالفِكْر الإنساني نتاج ما وصل إليه العقل البشري من معارف وعلوم ورؤى أسّس لثقافات وحضارات سادت، ثمّ بادت، ثمّ نهضت حضارات غيرها، وهكذا ستظل الحضارات بين نهوض وارتقاء، وإبادة وسُفليةٍ، وفقا لقاعدة الصّراع بين ما يجب وما لا يجب، وستظلّ الحياة البشريّة في دورة من التفاعل بين (ارتقاء ودونية) حضارات تسود، ثمّ تبيد، ثمّ تنهض حضارات أخرى.

ولذلك عاش الإنسان الأوّل حياة الخلق في أحسن تقويم، ثمّ انحدر سُفليّة؛ فاتّسعت الهوة بينه وتلك المكانة ارتقاء؛ فكانت الدّونيّة بين يديه سلوكا على غير فضائل ولا قيم حميدة، وكانت الأساطير ترافقه وكأنّها الحلّ في الوقت الذي فيه الخرافة لا علاقة لها بما يحقّق الآمال المحدثة للنُّقْلَة وصانعة المستقبل المزدهر.

ومع أنّ القاعدة المنطقية ترى: أنّ الارتقاء أساس الخَلق البشري، ولكن الاستثناء يرى كفّة الانحدار تكاد أن تتعادل مع كفّة الارتقاء، وهنا تكمن العلّة، حيث قلّة الجهد المبذول من قِبل من يأمل ارتقاء، في مقابل الجهد المبذول من قِبل من تشدّه السُفلية. وهذا الأمر يشير إلى أنّ زمن

[31] المائدة 60.

الصّراع سيطول بين من يأمل رتق الأرض بالسّموات، ومن لا يرها إلّا مُفتقة طباقًا.

والذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[32].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان رغبة، واختيارا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

ولهذا؛ فمن تُلهه نفسه شهوة فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدّونية التي لا تزيده إلّا تقليل شأن.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النشوء ارتقاء، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزّمن الحاضر في حُسن خَلقه وخُلقه؛ ولكنّ الغفلة قد أخذته فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي له، ثمّ حاول النّهوض، ولكنّه ما لازال يحاول وهو بين أمل ويأس. أمل الارتقاء إلى ذلك الماضي تحدٍّ، ويأس بلوغه بعلل الشّهوة التي لا ترى الأنا إلّا مركزا على حساب الغير.

ومن ثمّ، ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم

---

[32] الكهف 88.

المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة. ولكن إن لم يتحدّوا الصِّعاب ويعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على رصيف الحاجة متسوّلين، وهنا يكمن الانحدار علّة[33].

[33] المصدر السابق، ص 76.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 68 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له (126) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91. صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92. لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93. إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94. إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95. إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96. يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97. يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98. شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99. أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الوجود من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . تحدّي الصِّعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (126) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.